دار قطرة حبر للنشر

ظلي لم يغادر المكان

سلمى أبو ضيف

ظلي لم يغادر المكان

سلمى أبو ضيف

إسم العمل:_ ظلي لم يغادر المكان

إسم الكاتب/ة:_ سلمى أبو ضيف

نوع العمل:_ رواية

التصميم الداخلي:_ دينا عبد الفتاح

تصميم الغلاف:_ رضوى عادل

التنسيق والتعبئة:_ جنة محمد

التدقيق:_ رانيا خليل

مراجعة التدقيق:_ رانيا خليل

فريق العمل

دار قطرة حبر

تنويه

جميع أحداث هذه الرواية من تأليف الكاتبة سـلمى أبو ضـيف، وأي تشـابه مع أشـخاص أو أحداث واقعية هو محض صدفة لا أكثر.

قصـر البارون، المكان الذي تدور فيه الأحداث، هو قصر حقيقي بالفعل، بُني في القاهرة ويحمل بين جدرانه تاريخًا غامضًا وأسرارًا حيّرت الجميع، لكن قصة الفتاة المظلومة التي تسـكنه، والأحداث التي سـتقرؤها ،من وحي الخيال فقط.

ادخل القصر بحذر، فليس كل ما يبدو خيالًا يبقى كذلك.

إهداء

إلى صـــغيرتي فريدة، تلك الروح المرِحة التي لا تكف عن إدهاشـــي، التي كأنت تُشـــاهد على الجوال أناسًـــا يذهبون إلى أماكن مسـكونة، ومن خلال عيونها البريئة، خُطّت فكرة الرواية في ذهني، فكرةٌ لم تكن سـوى وهم، لكنها أصبحت حقيقة تنبض في قلبي.

شـــكرًا لـكِ يـا من زرعـتِ في داخلي بوابـة الغموض والإثارة.

الفصل الأول

وقف مازن أمام بيت نور، عينه ثابتة على نافذة في الطابق الثاني، للحظة، ظن أنه رأى الستارة تتحرك، لا نسمة هواء ولا صوت، فقط اهتزاز خفيف، كأن أحده يراقبه من خلفها، شعره المموج تحرَّك مع النسيم البسيط، لكن ملامحه بقيت جامدة، صلب، طويل القامة، بجسم متناسق، يرتدي قميصًا أسوده ضيقًا، وساعة ثقيلة تلمع في يده إليسرى، كل شيء فيه يوحي بالثقة، لكن من يعرفه يعرف أن أغلبها وهم.

أدهر نظره إلى السيارة حيث كأنت إهداء تجلس بجوار خالد، علامات الغضب كأنت واضحة على وجه كلٍّ منه

أخرجت إهداء رأسها من النافذة، وقالت بانفعال:

- هي هتفضل تأخرنا كده كتير؟

رد مازن وهو يحاول أن يبدو هادئًا :

- معلش.. سيبيها، يمكن بتجيب حاجة.

ثم أشار فجأة نحو الباب:

- أهي.. نور جت.

كان مازن ممن يصنعون من الهدوء درعًا، يخفي وراءه تقلبًا لا ينتهي، كلماته دهئمًا محسـوبة، لكنها لا تخلو من التلاعب، يعرف كيف يُظهر نفسـه كالقائد، لكنه داخليًا، ما زال يهرب من غرفةٍ ما ترك فيها وجهًا حزينًا

كأنت نور تنزل الدرج بخطوات مترددة، تمسـك حقيبتها كأنها سـتحتمي بها. ركبت السـيارة بسـرعة، وأغلقت الباب بعنف، جلست في المقعد الأمامي، تلف الكارديجان الرمـادي على كتفيهـا بـإحكـام، رغم أن الجو لا يـدعو للبرد، كأنت نظراتها معلقة في الطريق، وكأنها تبحث عن سبب للتراجع، عن علامة تخبرها أن تعود، شعرها الطويل مفروض بعناية، لا تطرف له خصلة، وملابسها ناعمة الألوان، بسـيطة، لكنها مرتبة تمامًا مثل أفكارها التي تحب ترتيبها كل صـباح قبل أن تواجه العالم، لكنها الآن، كأنت ترتب خوفها، لا أفكارها، صـوتها حين

تكلمت بدأ خافتًا، هشًــا، لا يشــبه نور التي تقرأ عن كل شيء وتفهم كل شيء.

قالت بضيق: ماما من ساعة ما عرفت إحنا رايحين فين وهي مش راضية تسيبني، تقول لي: القصر ده نحس.

ضــحك خالد ســاخرًا: قصــر نحس إيه بس يا نور؟، ده مش أول مرة نروح مكان مهجور، اهدوا بقى.

ثم نظر إلى مازن: يلا يا مازن، اتكل على الله.

مرت عشـر دقائق بصـمت ثقيل، وكأن القلق بدأ يسـيطر عليهم دون اعتراف، فجأة رن هاتف إهداء، ضـغط خالد على فخذه بعصبية، قال بعصبية:

- مش قلت نطفي التليفونات؟، فيه تصـــوير بعد ربع ساعة.

أخرجت إهداء هاتفها مسرعة: معلش نسيت.

ثم تغيرت ملامحها وهي تنظر للشاشة: عمرو؟!

كادت أن ترد، لكن خالد خطف منها النظرة بغضب:

- عمرو؟! هو من امتى معـاه رقمـك؟، مش قولنـا الراجل ده مش سهل.

ارتبكت إهداء، وتلعثمت:

- والله مش بإيدي، بعتلي عشـــان شـــغل، كان عايز إعلان لمحله الجديد، بس رفضـــت، قلت له عندي تصوير، والله العظيم ما حصل حاجة.

نظر مازن في المرآة، ثم قال بحدة:

- رقم الواد ده يتحذف، مفهوم؟، مش ناقصين مشاكل.

قالت بإحراج: حاضر.

لكن التوتر كان واضـــحًا، الجميع بدأ يشـــعر أن هذه المغامرة لن تكون عادية.

بعد لحظات من الصمت، قال مازن:

- خلاص، فاضل أقل من عشر دقايق ونوصل.

قالت نور بصوت خافت:

- أنا مش مرتاحة خالص، أنتم عارفين رايحين فين؟، قصر البارون مش أي مكان.

رفعت إهداء حاجبها، وقالت باستهتار:

- يا ستي قصر زي أي قصر، فيه تماثيل وحيطان قديمة وخلاص.

لكن نور نظرت لها بثقة مرعبة، وقالت:

- أنا عملت بحث كتير، القصر ده قصر تاريخي في مصر الجديدة، بناه البارون إدوارد لويس جوزيف إمبان، رجل أعمال بلجيكي، في أوائل القرن العشرين، وصمموه على الطراز الهندي، القصر ده بيتقال عليه إنه بيت رعب، غموض، وتشويق، من أول ثانية لآخر نفس، بيقولوا فيه صرخات بالليل، وست بتظهر في البلكونة، وأنفاق بتوصل للعالم السفلي.

ساد صمت غريب في السيارة.

قال خالد بقلق لأول مرة:

- نور.. الكلام ده حقيقي؟

حاول مازن تلطيف الجو:

- يا جدعان بلاش رعب، ده تحدي، واتفقنا عليه، وبعدين إحنا مش أطفال.

ثم تابع متحديًا:

- ده تحدي، وإحنا قبلنا بيه، وكلكم كنتوا موافقين، اشمعنا الوقتي؟

أمسكت إهداء بيد نور، وقالت ممازحة:

- متخافيش يا صغنن، حافظة المعوذتين وآية الكرسي ولا أحفظهم لك؟

نظر إلى نور وسألها: ناوية ترجعي؟

ترددت، ثم قالت:

- أنا.. مش عارفة.

لكن إهداء، رغم المزاح، كأنت تمسـك بيد نور بقوة، وقالت:

- إحنا معاكِ يا صـغنونة، هنتسـند على بعض، ما تخافيش.

نظرت نور إليهم، ثم تنهدت، وقالت:

- موافقة، يلا بينا.

صرخوا جميعًا:

- أيوه كده يا نور.

كأنت إهداء تضـحك، ضـحكة عالية، مزينة بزغروطة عفوية، دوَّت داخل السيارة، حتى أن نور نفسها لم تمنع ضـحكتها ،لكن داخلها، كان هناك شـيء آخر، حين أمسـكت بيد نور، لم يكن ذلك دعابة، كأنت تتمسـك بها بقوة، كأنها تتمسك بشيء يربطها بالواقع.

إهداء دهئمًا ما كأنت تهرب إلى الألوان، ترتدي البنفسـجي، الفوشـيا، الأخضـر الفاقع، تطلي أظافرها

بألوان لامعة، وتضــع ربطة شــعر كأنها في عيد، لكن إلىوم شــيء مختلف في عينيها، خفة أقل، صــمت أطول بين كل ضـــحكة وأخرى، لكن في لحظة خاطفة وهم يتحركون، مرت بجـانبهم قطــة ســـوده، وقفـت في منتصف الطريق تنظر نحو السيارة بعينين لامعتين قبل أن تختفي فجأة في العتمة.

قال مازن بصوت منخفض، وكأنه يخاطب نفسه:

- حتى القصر بقى منتظرنا.

وانطلقت السيارة، وكأن القصر ينتظر حضورهم بلهفه.

الفصل الثاني

- كده إحنا وصلنا.

قالها مازن وهو يركن السيارة بهدوء على جانب الطريق، تحت شجرة ضخمة يبدو أنها لم تُروَ منذ سنوات.

نزلوا من السيارة واحده تلو الآخر، الهواء كان ثقيلًا بشكل غير طبيعي، كأن شيئًا ما يمنعهم من التنفس.

وقف خالد أمام البوابة الحديدية القديمة، وقال:

- ده مش بس قصر، ده مقبرة ضخمة.

نظروا جميعًا إلى القصر الذي بدأ ككتلة من الظلال في وضح النهار، الشمس كأنت في كبد السماء، ومع ذلك، القصر غارق في العتمة، وكأن الضوء يخاف أن يلمسه.

بدأ مازن في توزيع المعدات: كله يقفل موبايله ويحطه في العربية، الكاميرات، الترايبود، الكشافات، دي كشافات قوية، فلاش يدوي ورأسي.

ثم أخرج أربع ميكروفونات صغيرة ووزعها عليهم:

- المرة دي الصوت لازم يطلع مضبوط، مش عايز ولا مشهد يتعاد.

بينما هم منشغلون بتصوير القصر بكاميرات الخاصة بالتصوير ، نظرت نور نحو القصر، ثم التفتت فجأة، وقالت:

- استنوا! نسيت حاجة مهمة جوه العربية.

ركضت بسرعة قبل أن يرد عليها أحد، فتحَت السيارة، ثم أخرجت شيئًا وخبأته بسرعة في جيب بنطالها، كأنت أنفاسها سريعة، عيناها تائهتان، نظرت خلفها للحظة، وشعرت كأن هناك من يراقبها من بين الأشجار، لكنها تجاهلت الشعور،

عادت مسرعة، تحاول أن تبدو طبيعية.

سألتها إهداء:

- إيه يا بنتي؟ مالك؟

ضحكت بتوتر:

- نسيت الروج، لازم أطلع كويسة في التصوير.

نظروا لها بعدم تصديق، لكنها تفادت النظرات، وأخذت الكاميرا من مازن دون أن تتكلم.

قال مازن: طيب يلا نبدأ، هشغّل الكاميرا بتاعتي.

ضغط على زر التشغيل، وبدأ التصوير، ظهرت صورته على الشاشة، وابتسامته المعتادة ارتسمت على وجهه:

- أنا مازن الهواري، ودي المغامرة رقم 100، بس المرة دي مختلفة، إحنا مش لوحدنا، إحنا في قصر البارون.

اقتربت الكاميرات من وجوههم واحده تلو الآخر.

إهداء بابتسامة متمردة: إهداء كامل!

نور بصوتها الهادئ: نور صديق.

خالد بحماس: خالد القصري!

ثم هتفوا معًا بصوت عالٍ:

- قالوا المكان ده مقفول من سنين، بس إحنا ما بنسمعش الكلام، يلا بينا نفتح باب الجحيم.

اقتربوا من القصر، أخرج خالد المفتاح القديم من جيبه، كان لونه أسود باهت، ومرسوم عليه رموز لم يتعرفوا عليها.

قال خالد:

- سيف قالي إن ده بيفتح الباب الخلفي المهجور، اللي محدش استخدمه من 60 سنة.

سيف، صديق خالد، يعمل في شركة أمنٍ خاصّة متعاقدة مع أحد المواقع الأثرية، بفضله حصل خالد على نسخة من مفتاح قديم يُقال إنه يفتح بوابة خلفية للقصر، نُسيت منذ عقود.

أدخل المفتاح في القفل، فدهر بسهولة غير متوقعة، سمعوا صوت طقطقة معدنية، ثم فُتح الباب ببطء، وكأنه

يرحب بهم. خرجت رائحة خانقة، مزيج بين الخشــــب المحترق والعفن والرطوبة، ارتجفت نور، وتمســـكت بذراع إهداء دون أن تتكلم.

قال مازن وهو يسلط الكشاف للأمام:

- متخافوش، إحنا أول ناس يدخلوا هنا من ســـنين، خدو نفس عميق، يلا بينا.

لكن الكاميرا الخاصــــة بإهداء التقطت شــيئًا، شــيء لم ينتبهوا له وهم يدخلون، في زاوية الصورة، خلف الباب مباشرة، ظهر ظل شخص يمر بسرعة، لم يرَه أحد في اللحظة دي، لكن الكاميرا كأنت شاهدة.

قبل دخولهم القصر بأربعة أيام،

في مكانٍ مقطوع، يقف شاب ثلاثيني أمام سيارته، يبدو عليه القلق الشديد، وكأنه ينتظر شخصًا ما،لمح سيارة قادمة من بعيد، فعلم أنها سيارة من ينتظره، قال بغضب وهو يتلفّت حوله بتوتر:

- أنت يا حيوان! مين اللي جاي معاك في العربية ده؟

أجابه الشاب الآخر بهدوء:

- أنا آســـف والله، ملحقتش ألاقي حد يجيبني، بس متتقلقش، مش هقول حاجة لحد.

نظر الشاب حوله مرة أخرى، ثم أشار له أن يركب معه في السـيارة، أخرج كيسًـا مليئًا بالمال، ودفعه إليه قائلاً بجدية:

- ده نصيبك لو عطلتهم ومنعتهم يدخلوا القصر.

ثم أخرج كيسًا آخر، وقال:

- وده هيبقى نصيبك، لو قتلتهم.

ظهرت على وجه الشاب علامات الصدمة:

- أقتلهم؟! إحنا متفقناش على كده، أنا عمري ما قتلت حد.

نظر إليه الآخر بتمعن، ثم غمز له، وقال بنبرة خبيثة:

- ممكن مش أنت اللي تقتلهم، ممكن تخلي حد غيرك يعمل كده، وســـاعتها نصـــيبك هيزيد، ويبقى ليك حساب في البنك.

لم ينتظر رأيه، بل ختم حديثه قائلًا:

- هسـيبك تفكر، ومعاك شـوية الفلوس الحلوين دول، واللي ممكن يزيدوا لو فكرت في كلامي.

الفصل الثالث

قصرالبارون، قصر يغمره الظلام في عزِّ الظهر، يقف شامخًا كصنم، تحيط به الأساطير كأنها جدران خفية لا يراها إلا من تجرأ على الاقتراب أكثر من اللازم، بُني على طرازٍ فريد لا يشبه أي شيء من حوله، قصرٌ مخيف، غامض، يسوده الظلام الحالك، يبدو من الخارج كحوتٍ عملاق يريد أن يبتلعك، أما داخله فبلا نهاية، كأنه يريدك ألا ترحل وتتركه.

قالت إهداء وهي تغطي أنفها:

- إيه الريحة دي؟ مش قادرة أتنفس.

مازن، بنبرة واثقة رغم التوتر في عينيه:

- اتصرفي، الكاميرا شغالة، خلونا نبدأ.

رفع الكشاف وسلط الضوء على الجدران، النقوش الغريبة التي تزين الحوائط لم تكن مجرد زخارف، بل بدت كأنها تتحرك للحظة، كأنها تنبض.

نور همست وهي تمسك بيد إهداء:

- أنا حاسة إن الحيطان بتبصلي،

خالد قال وهو يضحك بتوتر:

- ده أنت اللي عينيكِ بتتحرك من الخوف، متخافيش أنا ومازن هنمشـــي قدهمكم، وأنت وإهداء خليكم ورانا بالضبط.

انغلق الباب الحديدي خلفهم بعنف، فاهتزت الأرض تحت أقدهمهم.

التفتت إهداء مذعورة:

- إيه ده؟! مين قفل الباب؟!

نظر خالد إلى الباب، ثم اقترب منه وجرب فتحه، لكنه لم يتحرك.

قال مازن وهو يحاول تهدئتهم: يمكن الريح.

قاطعه صوت خافت من أعلى السلم الخشبي، يشبه تمتمة، لم يفهموا ما قيل، لكنه بالتأكيد لم يكن صوت أحد منهم.

نظرت نور إلى الأعلى، وقالت:

- في حد فوق، سمعتوه؟

إهداء تراجعت خطوة للخلف:

- مازن، خالد، كفاية كده، المكان ده مش طبيعي.

رد خالد محاولًا السيطرة على الوضع:

- بصوا، ده طبيعي، مكان ليه سنين مهجور، لو حصلت حاجة تاني، نمشي، تمام؟، بس الوقتي نكمل الجولة ونأخد لقطات كويسة.

مازن كان ينظر إلى كاميرته ويتكلم معها وكأن الجمهور يشاهده مباشرة:

- زي ما أنتم شايفين، إحنا دخلنا القصر رسميًا، وغالبًا كنا أول ناس يدخلوا هنا من سنين طويلة،

- وهنتجه الوقتي للسلالم، ونبدأ الجولة من فوق.

ثم أضافت نور وهي تنظر إلى كاميرتها:

- وأكيد سـمعتوا إن الغرف دي ملهاش نهاية، فحابين نجرب بنفسنا ونشوف.

قالت إهداء:

- ومش بس كده، إحنا كمان هنتحدى بعض، كل واحد فينا يفضـــل في غرفة من الغرف ونشـــوف مين هيقضي وقت أكتر.

قال خالد بثقة:

ـ أكيد أنا طبعًا!

ثم قال مازن بوضوح:

_ القصـر كبير جدًا، فشـايف إننا نسـتكشـفه مع بعض ونستمتع، وبعد كده كل واحد يختار أنهي غرفة يقعد فيها لوحده لحد باقي التحدي.

أضافت إهداء مازحة:

- لحد باقي التحدي؟! ده لو حد اســـتحمل يقعد دقيقة أصلًا.

بعد الكثير من الاســتكشــاف والانبهار، فقد كان القصــر يتميز بألوانه المميزة والفاتنة، يتكوّن من:

الطابق الأرضي (الدور الأول):

يضـــم غرف الاســـتقبال، غرفة الطعام، والمجالس، مزخرف بتماثيل وزخارف مســـتوحاة من الأســـاطير الهندية والكمبودية.

الطابق العلوي (الدور الثاني):

يحتوي على غرف النوم وغرف المعيشـــة الخاصـــة بالبارون وضيوفه.

السطح (الروف):

يتميز ببرج دوَّار -كـان يـدور فعلًا 360 درجـة في السابق-، السلم الحلزوني والمصعد الكهربائي.

في قلب القصـر يقع سـلم حلزوني فاخر مصـنوع من الرخام الإيطإلى، يمتد من الأرضـي إلى الطابق العلوي، يعبر وسطه مصعد كهربائي تاريخي يربط جميع طوابق القصـر بالبدروم ، درابزين السـلم مزخرف بلوحات برونزية منقوشـة بتماثيل هندية دقيقة، ويعلو الثريا الضخمة التي تضيف لمسة فخمة للفراغ المركزي.

قالت إهداء باهتمام وهي توجه نظرها إلى نور:

- فين السرداب اللي كنتِ بتقولي عليه؟

قالت نور بعدم ثقة:

- مش متأكدة، بس دي معلومات شوفتها على النت.

ثم بدأت تحكي لهم أن المدخل موجود داخل القصـر، غالبًا في الطابق الأرضي، وكان يُستخدم كغرفة خدمات

أو تخزين، يُقال إن المدخل خلف أحد الأبواب الجانبية أو أسفل أحد السلالم، ويمتد السرداب لمسافة غير معروفة تحت الأرض، وتوجد شائعات بأنه يحتوي على نفق سري يصل القصر بكنيسة البازيليك المجاورة -تبعد نحو 300 متر فقط-.

بعد مرور ساعة، كان الجميع يلتقط صورًا كثيرة تُبرز جمال القصر والانبهار الشديد بتصميمه.

قال خالد بهدوء:

- عدت ساعة يا جماعة، وسيف قالي إن المفتاح مدته أربع ساعات بالكتير ويأخده تاني، فانجزوا يلا,

ضحكت إهداء، وقالت:

_ اللي يشوفنا وإحنا بنكتب في بايو الفيديو إننا هنقضي 24 ساعة في القصر، ميشوفناش وإحنا أصلًا هنقعد فيه أربع ساعات بس، لو قعدناهم أصلًا.

هكذا هي حياة السوشيال ميديا والأنترنت يستطيعون أن يكـذبوا علينـا ولو بكلمـة واحـدة فقط، وبرغم معرفتنـا الأكيدة بأنهم يكذبون، نظل نسـتمع إليهم كأنهم يمسـكون بنا شيئًا يجعلنا نستمر في تكذيب أنفسنا وتصديقهم!

الفصل الرابع

إزاي يعني دخلوا القصـــــر؟! قالها وهو ينظر إلى هاتفه بغضب، ثم تابع بانفعال:

- أنا إزاي وثقت في إنسان زيك؟!

بدأ يشتمه بألفاظ نابية، لكن الآخر أجابه بصوت مرتبك:

- فهمني، الرجالة قالوا لي إنهم كانوا ماشـــيين ورا العربيـة بتـاعتهم، وفجـأة ظهرت قدامهم قطـة، هي اللي عطلتهم.

ضحك الآخر بسخرية وأجاب من الهاتف:

- أعرف إن أســـد ممكن يعطل عربيـة، لكن قطـة؟ غريبة!

ثم تابع بثقة:

الفلوس هتيجيلي لحد عندي، سامع؟

حاول أن يهدئه، وقال:

طيب، أنت قول لي هما رايحين فين، وأنا أخلي الرجالة يخلصوا عليهم هناك.

نظر إلى الهاتف بمكر، كأن الفكرة بدأت تختمر في ذهنه، ثم قال:

- قصر البارون.

بدأنا جميعًا في اختيار الغرف، وقررنا أن نقسم أنفسنا:

أنا مع نور في الطابق العلوي، وخالد مع إهداء في الطابق السفلي.

قمنا بوضع الكاميرات في الغرف الأربع بطريقة احترافية، بحيث تغطي كل زاوية من زوايا الغرفة.

ثم قلت لهم باهتمام شديد:

- عـايز كـل واحـد وهو لوحـده في الغرفـة، يتكلم ويوصف شعوره، وفي نص الكلام يعمل كأنه سمع صـوت مرعب، كده يعني، عشـان الفيديو، وأنا في المونتاج هضبط كل حاجة.

وافق الجميع، ثم توجهوا إلى الغرف

قالت نور وهي تنظر إلى الغرفة:

- الوقتي زي ما أنتم شـــايفين، أنا في غرفة النوم، شـــعوري؟ طبعًا مرعوبة، أنا بخاف جدًا، وكمان سابوني لوحدي، واثقة إني أول واحدة هخرج.

قال مازن بابتسامته الجذابة:

- أنا الوقتي في غرفة المعيشـــة، شـعوري؟ مبســوط جـدًا، أنــا بحـب المغـامرات دي أوي، وواثق إني هكسب.

في الطابق السفلي

قالت إهداء وهي شاردة، تنظر في جميع زوايا الغرفة:

- أنا الوقتي في غرفة الاستقبال، شعوري طبعًا عكس قبل ما أدخل، كنت متحمسة جدًا، لكن الوقتي.

ثم خفضت صوتها واقتربت من الكاميرا، وهمست:

- أنا خايفة أوي.

قال خالد باهتمام، وهو يحاول التخفيف من حدة التوتر:

- شعوري؟ والله مش عارف أوصفه، جوعي مغطي على كل حاجة، وطبعًا عرفتم أنا في أنهي غرفة؟

لم يمضِ سوى وقت قصير، حتى بدأ الباب الخلفي في الإغلاق فجأة دون إنذار.

فقدت جميع الكاميرات قدرتها على التصوير، وبدأت أصوات وهمسات غريبة تملأ المكان، ثم بدأ القصر في الاهتزاز بشدة، وكأن الأرض لم تعد قادرة على احتماله،

تعالت الصـــرخات، وهرعنا جميعًا للخروج من الغرف، لم تستطع نور أن تتمالك نفسها مما رأته، فأُغمى عليها.

ركض مازن من غرفته ناحية صـــوت نور، صـــوته يتقطع وهو يصرخ:

- نور! نور! ردي عليَّ.

لكن نور لم تكن ترد، كـأنـت مســـتلقيـة على الأرض، جســـدها ســـاكن كأن الروح غادرت للحظات، وعيناها مغمضتان بقوة.

ركع مـازن بجـانبهـا، وحـاول إفـاقتهـا بهـدوء وهو يهز كتفها:

- نور؟ فوقي! أنا هنا.

عادت أنفاســـها تدريجيًا، وعندما فتحت عينيها، لم تتكلم، فقط همست بكلمة واحدة: «شوفتها».

مــازن تراجع خطوة للخلف، ثم ســـــألهــا: «مين اللي شوفتيها؟»، لكنها لم تجب.

في نفس الوقت، في الطابق السفلي، كان خالد وإهداء يهرولان في الممرات، يحاولان الصعود للأعلى، بعدما سمعا الصراخ.

كان خالد يصرخ وهو يحتضن إهداء ابنة عمه، محاولًا طمأنتها:

- مازن! نور! أنتم كويسين؟

صرخ مازن من الأعلى:

- نور أغمي عليها ومش قادر...

لكن لم يستطيعوا سماع ما قاله، فالذي رأوه كلٌ من خالد وإهداء، كان كفيلًا بأن يُنسيهم حياتهم ذاتها.

الفصل الخامس

صـرخت كتير، محدش سـمع، كتبت كتير، محدش قرأ، اشتكيت كتير، محدش اهتم.

لحظه دخولهم القصـــــر ، كان يقف بعيده عنهم، يراقب بصـمت، بينما مجموعة من الشـباب تترصَّـد الفرصـة المناســبة للتخلّص منهم، لم ينتبه أحدٌ لوجودهم، لكن ما لم يكن في الحسبان، أن القصـر نفسـه بدأ وكأنه يحميهم، فمنذ أن دخلوا إليه، أصــبح من المســتحيل على أي أحد أن يلحق بهم أذى، لا يمكن لأحد الدخول غيرهم.

اتصـــل قائد المجموعة بالشـــاب الذي اســتأجرهم بمبلغ ضخم لتنفيذ عملية القتل، تنفَّس بعمق، وقال بامتعاض:

- للأسف، القصـر مش راضـي يفتح، عملنا المستحيل ومافيش فايدة، شكله مسحور، أو عليه لعنة.

أجابه الشاب بضيق:

- اهربوا، امشـوا من هنا، روحوا أي حتة، مش عايز أعرف أي حاجة، أنا هتَّصل عليه وأقول إن المهمة نُفّذت، وهو هيبعت لكل واحد فيكم فلوسه، اعتبروا إنكم ما شوفتونيش، ولا شوفت حد.

ثم أغلق الهاتف بحدة، ونظر إلى نفسه في المرآة بعينين مليئتين بالندم، كأنما يلوم ذاته:

- أنا اللي بعمل كده ؟

وبعد لحظات من التردد، أخرج هاتفه، وأرسل رسالة قصيرة لشاب ما، كتب فيها: «تمت المهمة».

وحين قرأ الشاب الرسالة، قفز قلبه فرحًا، لكن في عينيه بريق غامض، كأنه يخفي شيئًا أثمن من أي شيء آخر داخل القصر، شيئًا لا يريد لأحد أن يراه.

في شـمال الجيزة، علـى ضـفة النيل الغربية، تمتد إمبابة زي لوحة مرسـومة بعشـوائية صـادقة، ما تعرفش فيها فين الجمال بيبدأ ولا فين بينتهي، حي شعبي، قلبه واسع رغم الزحمة، صوته عالي، وروحه جامدة، وشخصياته محفورة في الذاكرة، مزيج غريب بين الفقر اللي بيعلم الصـبر، والفن اللي بيولد من رحم التعب، شـارع مش مجرد شـارع، ده مسـرح يومي للحياة، العمارات طالعة فوق بعضـها، والسـطوح فيها مش بس مكان لنشـر الغسـيل، دي منصـات بتطير منها المزيكا الشـعبية زي نسمات تمرد، من عبد الباسط لحد عنبة، صوت بيخترق الزحام ويدغدغ الوجدًان، وسـط الشـقق، تلاقي مزارع دواجن،

والتكايا القديمة لسه بتوزّع دفء في ليالي البرد، الشباب على النواصـي، سـهرانين للحلم أو للهروب، والقهاوي شغالة من قبل الفجر، بتصب الشاي وتحكي حكايات عن مبارزات الحياة.

في إمبـابـة، ممكن تلاقي: عمـارتين فوق بعض، وتحتهم مزرعة فراخ، وجنبهم كشك بيبيع شيشة وسجاير، شباب لابســين ترينجات وبيلعبوا طاولة على نص رصــيف، ستات بيعلّقوا الغسيل، وصوت أغاني حمو بيكا شغّالة.

إمبابة مش بس حي، دي حالة فنية، صــرخة حرة، فيها التناقض نعمة، وفيها الجدعنة أسلوب حياة.

تقف الســيدة التي يظهر عليها ملامح الكِبر، وهي تنظر إلى الشارع المزدحم، ويبدو على وجهها التردد الشديد، ثم نادت وهي تنظر إلى البلكونة المقابلة لها:

- يا خالد، يا خالد.

لم يمر سوى القليل، وأطلت سيدة تبدو أصغر منها، لكن يبدو عليها إنها شــــالت همّ الدنيا، فظهر ذلك على ملامحها، استجابت لندائها وقالت، وهي تضع يدها على قلبها:

- أيوه يا أم مازن، مفيش أخبار عن العيال؟

تنهدت أم مازن، وقالت:

- أنا اللي كنت جاية أســـألك، يمكن تعرفي حاجة، العيال اتأخروا، مازن قال لي بالكتير الضهر هيبقوا هنا.

قالت السيدة نوال بقلق شديد:

- أنا قلت لزفت خالد، والهانم إهداء، مش مســـتريحة للقصــر ده، والله يا أختي مش عايزة أخوفك، أنا ليَّ كام يوم بشوف كوابيس مش تمام.

شهقت السيدة فتحية، وهي تحاول أن تتمالك نفسها:

- يارب، أنا مليش غيره، الحقيني يا نوال، نسيت آخذ حباية.

لم تستطع إكمال جملتها، حتى سقطت على الأرض.

فاق ذهن كلٍّ من إهداء وخالد على صـــوت مازن، الذي ظل يصرخ:

- في إيه؟ أنتوا حصلّكم إيه؟ ردوا عليَّ.

قال خالد بارتباك شديد:

- انزل بسرعة، في مصيبة.

كأنت إهداء تصـــرخ وتبكي مثل الطفلة التي تاهت عن والدتها، بينما يقف خالد في حيرة تامة، فقد تحولت المزحة إلى حقيقة، دمها ثقيل.

نزل مازن مســـرعًا وهو يحمل نور، التي فقدت وعيها تمامًا، ممسكًا بشنطتها، نزل من على درج السلالم وهو ينظر إليهم باستغراب:

- إيه اللي حصل لكم؟!

وضـــع نور على الأرض أمامهم، ثم نظر إلى المرآة فوجد تلك الكلمات مكتوبة والدماء تسيل منها:

- صـرخت كتير، محدش سـمع، كتبت كتير، محدش قرأ، اشتكيت كتير، محدش اهتم.

قال مازن بعدم فهم:

- إيه ده؟

رد خالد وهو يحاول أن يتمالك أعصابه:

- زي ما أنت شايف.

قال مازن باهتمام:

- نشوف نور الأول، وبعد كده نمشي من هنا حالًا

نور كأنت مستلقية على الأرض، أنفاسها ضعيفة، رشَّت إهداء عطرها المقرب منها، بحركة متوترة، قرب أنف نور، وهي تهمس:

- فوقي يا نور، بالله عليكِ فوقي.

فتحت نور عينيها فجأة، وصرخت بصوت هزّ القصر:

- هي كأنت هتشدّني معاها، شفتها، كأنت ورايا.

تسمرت الكلمات في قلب الجميع، كل واحد حس للحظة إنه بيتنفس بصعوبة، كأن المكان نفسه بيرفض وجودهم.

قال خالد بهدوء مخنوق:

- نور، احكي، شوفتِ إيه؟

نظرت لهم، ووجهها شـــاحب كأن الدم انســـحب من عروقها: ظل أنثوي، جسدها شبه شفاف، عيناها لا تُرى بوضــوح، لكن فيها بريق خافت من نار دفينة، شـعرها الطويل يتســـاقط كخيوط الليل، وحركتها بطيئة وثقيلة، كأنها تسحب وراءها ألمًا دفينًا، لا تتحدث، لكن وجودها يكفي ليشـــعر القلب بالخوف والحَنَق، روحها معلقة بين العوالم، تبحث عن مَن أخذ منها الحياة بظلم، وتســـير على خُطى الأنتقام بصمت قاتل.

قالت إهداء:

- كده كل حاجة وضــحت، وصــف نور والكلام اللي مكتوب على المراية يعني..

لم تُكمل جملتها، فصراخ نور قطع عليها كل شيء وهي تقول:

- إيه الكلام اللي مكتوب ده؟ أبوس إيديكم يلا نمشي! أنا حاسة إني هموت.

قال مازن وهو يمسك بشنطتها:

- إحنا لازم نخرج فورًا. المفتاح مع مين؟

لكن الدخول لم يكن كالخروج، فالخروج هنا بغرامة، إما أن تُدفع، أو تبقى أسير هذا المكان إلى أبد الدهر.

الفصل السادس

- كده يا أم مازن تنسي تأخدي حباية السكر.

أفاقت وهي على سـريرها، نظرت إلى سـاعة العقرب اللي على الحائط أمامها، وقالت بإرهاق شديد:

- إيه اللي حصل لي؟ ومازن مجاش لحد الوقتي؟

قالت نوال، وهي تضرب كفًا بكف:

- والله يا أختي كنا بنتكلم على العيال اللي لسه مجوش لحد الوقتي، وفجأة افتكرتِ إنك ماخدتيش البرشامة، ووقعتي من طولـك، لولا كنـا واقفين مع بعض وشـوفتك، ولولا جيت ولحقتك، أنا بعد كده هاجي أديهالك بنفسي.

أمسكت أم مازن بجوالها، وتصفَّحت سجل المكالمات، حتى وصلت إلى مازن حبيب أمه واتصلت.

لكن جاءها الرد:

الهاتف مغلق أو غير متاح، حاول الاتصال به لاحقًا.

- هتجنن يا نوال، هتجنن! الواد مش بيرد عليَّ.

قصّت عليها نوال ما حدث عندما كأنت نائمة:

- أنا بعد ما جيت لك، فضلت أرنّ عليهم واحد واحد، وكلهم تليفوناتهم مقفولة، ورنيت على أم البنت المفعوصة نور، كلمتني يا أختي بقرف، وتقولي معرفش حاجة، أنا على نار وخايفة على بنتي، منكم لله، أنتوا وعيالكم، أما بتوع التجمع، يا أختي، دول شايفين نفسهم على إيه؟

مازن:

- إحنا لازم نخرج فورًا، المفتاح مع مين؟

خالد أخرج المفتاح من جيبه، لكنه ذاب في يده.

تجمد الجميع في أماكنهم.

قال خالد ببطء، وهو ينظر إلى يده المحترقة:

- أنا، أنا كنت ماسكه من شوية، إزاي؟!

قالت نور وهي تمسك رأسها:

- فيه صوت جوه دماغي، بيقولي: مش هتخرجوا.

مازن التفت نحوها: أنت سمعتي ده فعلًا؟

أومأت برأسها وهي تهمس:

- الصوت مش بيتكلم، بيأمر.

مضت نصف ساعة وهم يحاولون الخروج من هذا المكان، جربوا كل شيء، حتى النوافذ، ولكن لم يُساعدهم أي شيء، حتى عادوا إلى نقطة البداية، الصالة أمام المرآة.

نظروا جميعًا إلى المرآة، يحاولون فك شفرة تلك الكلمات ووصف نور، وأصبح ما كان مُبهمًا معروفًا.

قالت إهداء في توتر:

- يعني كده إحنا المفروض نســـاعدها؟ ولا إيه؟ مش فاهمة حاجة، بجد هتجنن.

أجابها خالد:

- أيوه يا إهداء، كل حاجة وضـــحت، القصـــر مش راضي يفتح، وهي كاتبة إنها صرخت كتير، ونور قالت إنها ظل أنثوي، يبقى فاضل إيه عشان تفهمي؟

قالت والنار تشتعل في عينيها:

- أنا مش هقعد هنا ثانية واحدة! ســـامع؟ أنت وهو السبب، أنا مكنتش موافقة! قولولي هنقعد هنا إزاي؟ إحنـا كـده هنموت، ولا معـانـا تليفونـات حتى نرن على حد يســـاعدنا، ولا أكل ولا شـــرب، إحنا لينا أربع ســـاعات هنا وهنموت، ما بالك بقى هنطلع إمتى؟ ولا معـانـا تليفونـات حتى نرن على حـد يساعدنا

نزلت الجملة على نور كالبرق.

فقالت وكأنها أنتصرت في حرب شعواء:

- أنا، معايا موبايل.

كلهم سكتوا، مازن بص لها مذهول: «إيه؟»

قالت وهي تخرج الموبايل من جيبها:

- كنت خايفة، فخدت التليفون من العربية، وقلت لو حصل حاجة، أقدر أتصرف.

انقسمت نظراتهم بين ذهول، وعتاب.

خالد قال بنبرة مختلطة:

- يعني خبيتي علينا؟

نور رفعت عينيها في وجهه، وقالت:

- لو كنت سمعت كلامكم، كنا هنموت هنا من غير ما حد يعرف.

لم يُدرك أحد بعد، هل يســـتحق ما فعلته اللوم، لأنها لم تنصت إليهم، أم الشكر لأنها لم تفعل؟

في بعض الأحيان، يكون الصمت تجاه أمرٍ ما هو أعلى درجات الحب، وفي لحظات نادرة، يُصــبح التمرد على رغبة الحبيب دليلًا على الإخلاص، لا الخيانة.

لم تكن تعلم إن كان ما فعلته يســتحق اللوم أم الامتنان، أطاعت قلبها، لا صــوتهم، ســارت عكس التيار الذي رسموه لها بحُسن نية، لكنها رأت فيهم شيئًا يشبه السم، مغلفًا بالســكر، كأنت تعلم أن الحب لا يعني الطاعة العمياء، وأن من يحبك حقًا، لن يقودك إلى حيث تذوب روحك وإن ابتســم، فليس كل ما يطلبه الحبيب يجب أن يُمنح، ولا كل الأوامر دليل رغبة صــادقة، فبعضــها اختبار، وبعضها ضعف، وبعضها الآخر طريق مسموم لا يرى صاحبه نهايته.

أخرجت نور هاتفها من شنطتها، وقالت بقلق:

-التليفون مقفول!؟

إهداء باستغراب:

- وإيه يعني؟ افتحيه بسرعة.

نور تنظر إليهم بارتباك:

- أنا، عمري ما قفلت تليفوني.

أخذ مازن منها الهاتف، ضغط على زر التشغيل بعصبية، وما إن ظهر شعار البداية حتى قال:

- أهو فتح، يلا اتصلي بأي حد يخرجنا من هنا!

بدأت نور تتصفح، حتى وجدت رقم والدتها، فضغطت عليه، ثم وضعت الهاتف على السبيكر:

- ماما، الحقينا! إحنا مش عارفين نخرج من قصر البارون.

جاء صوت والدتها مرتبكًا، متقطعًا:

- أيوه يا نور، يا نور، اتكلمي، مش سامعة حاجة.

تكلموا جميعًا بصوت واحد:

- قولي لحد ييجي بسرعة، إحنا جوه القصر ومش قادرين نخرج.

نور تكاد تبكي:

- يا ماما! إحنا هنموت هنا.

لكن الرد جاء عكس كل التوقعات:

- أنا مش فاهمة الهزار ده، مرة ترني وما ترديش، مرة تردي وتفضلي ساكتة، وكل شوية تقولي مازن قال، إهداء شجعتني، روحي يا نور، وأنا متأكدة إنك سامعاني ومش راضية تردّي، ولو اتصلتِ تاني هبلغ عنك أنت وصحابك إنكم بتعملوا فيَّ مقالب، وأنا ست كبيرة مش قدكم.

وأغلقت الهاتف.

صمتٌ ثقيل تبع الصدمة، أخذت نور تبكي بحرقة:

- يعني مفيش أمل؟ خلاص؟ هنفضل هنا لحد ما نموت؟

خالد وقف فجأة، متوجهًا نحو المرآة:

- لازم نفهم هي إيه أصـــلًا، إزاي بتكتـب؟ إزاي بتنزف؟ أنا هلمسها وأشوف.

وبـالفعل، مدَّ يده، ولمجرد أن لامس زجـاجها، اهتزَّ القصـــر بعنف، صـــرير الجدران، أصــوات طقطقة، وصـــوت خطوات قادمة من أعلى الســـلم، ظهر ظل أنثوي، جســـد شـــبه شـــفاف، وجهه مغطى بالخيوط السوداء، وعيناه كأنهما شعلة مطفأة، كل خطوة تخطوها على الدرج، كأنت تترك خلفها بقعة دم حمراء، حقيقية، ثقيلة.

صمت الجميع، ملامحهم ممتزجة بين الرعب والدهشة.

فماذا سيفعلون؟

الفصل السابع

- حاضر، حاضر، يلي بتخبط؟

قالتها السيدة نوال وهي تخلع مريلة المطبخ وتضعها على السفرة.

فتحت الباب، فوجدت أمامها زيكا، الشاب المكافح الذي يعتقد أن صوته يشبه صوت عمرو دياب وتامر حسني، والذي يُطرب كل من يسمعه، من يسمع صوته يتمنى لو وُلد طارش، لكن لا أحد ينكر أنه لا يوجد مثله في الشهامة والرجولة؛ فهو شاب جدير بالتقدير ومحبة الناس.

قالت له:

- هات يا ابني، أشيل عنك.

فرد بصوت رجولي:

- عنك يا خالتي أم خالد.

ووضع أكياس الخضار والفراخ على السفرة، وهو ينظر إليها ويقول بصوت مرتفع:

- الحساب بقى، وعليهم شوية بقشيش، أنا طالع شايل كل ده على قلبي.

فأجابته، وهي تنظر إلىه وإلى ملابسه المليئة بدماء الفراخ ورائحتها النفاذة -رائحة تُشبه خليطًا من الزفر والريش الرطب والدم، وتلتصق بالملابس وتدخل في المسام حتى يصعب التخلص منها بسهولة-:

- لما ييجي الأستاذ مازن يبقى يحاسبك.

سألها، وهو يده في جيب بنطاله:

- هما لحد الوقتي مجوش؟ ده أنا شوفتهم من ديك الصبح، وأول ما شوفتهم سلّمت عليهم، وقلت لهم: مش عايزين أُغنّيلكم أي حاجة على الصبح كده؟ بس هما أصرّوا، وقالوا: لو غنيت، مش هنشتري من عندك تاني.

ثم أضاف بضيق:

- تفتكري ليه ماكانوش عايزين يسـمعوا صـوتي وأنا بغنّي لهم؟

أطلقت السيدة نوال ضحكتها، وكأنها نسيت أمر أولادها، وقالت:

- من جمال صوتك يا حبيبي، مش عايزين يسمعوه.

زفر بضيق، وقال:

- طيب، أنا نازل، وابقي شـــوفي مين هينضّـــف لكَ الفراخ تاني؟

مازن بصوت حاد:

- أنا طالع أواجهها، أشوف العبط ده إيه؟

أمسكه خالد:

- لأ، لو اتحركت خطوة هتودينا كلنا في داهية، خلينا هنا.

بدأت نور تحاول أن تهاتف أحد من أصـــدقائها، لكن الأمر كان يتكرر، لا أحد يسمعهم.

حاولوا أن يرســـلوا رســـائل على أي موقع تواصـــل اجتماعي، وبالفعل كتبت بعض الرســـائل، لكن ظهر: «حدثت مشكلة، حاول مرة أخرى في إرسال الرسالة«.

قالت نور بضيق:

- إيه اللي بيحصل ده؟ أنا هتجنن.

قال مازن وهو ينظر إليها:

- هاتي تليفونك، إحنا هنطلع لايف.

أمســـك هاتفها، ووقفوا جميعًا بعد المرآة بخطوتين، ثم فتح مازن البث المباشر، وقال:

- يا جماعة، إحنا اتحبســـنا، وزي ما أنتوا شـــايفين، بصـوا، المراية مكتوب عليها إيه، لما جينا نلمسـها، ظهر لنـا بنـت مرعبـة كـأنهـا عفريتـة، وإحنـا مش عارفين نلاقي حد، أرجوكم، ساعدونا.

لكن الصدمة، إهداء تقول وهي تحدّق بالشاشة:

- مليون مشـــــاهـد، وكلهم بيكتبوا نفس التعليق: لا صوت، ولا صورة.

مازن فقد أعصابه، صرخ ممسكًا الهاتف:

- أنتوا إيه؟ سامعيني ولا لأ؟ بنموت! بنموت!

صرخ، وصرخ، والفراغ وحده ردّ عليه، الجميع جلس على الأرض، انطفأت أعينهم، لم يعودوا يصـــدقون أي شيء، كيف أنتهى كل شيء هكذا؟ كيف انقلبت فكرة إلى فخّ موت؟ كيف لمجرد فكرةٍ مرّت بعقولهم، ومجرد تنفيذها، كادت تنتهي حياتهم؟

مرت ساعة، وكلٌّ منهم ما زال صامتًا، يتمتم بدعاء إلى ربه أن ينجيهم من هذا الكرب.

بدأت المرآة تنزف دمًا جديدًا، قطرات دم حقيقية تهبط كأنها تحفر أمرها الملعون

على الزجاج من الداخل، وظهر نص جديد:

«كنت أنتظركم منذ ســنتين بلهفة، والآن، لا خروج لكم إلا عندما يُرَدّ الحق«.

فقد الجميع الوعي بمجرد أنتهاء قراءة ما رآه في المرآة.

الفصل الثامن

«لااااااااااا خالد ابني، لااااااااا».

أفاقت الســـيدة نوال من كابوســـها، أنفاســـها متقطعة، وجســـمها كله غرقان عرق، وكأنها كأنت بتتخانق مع حـد، أمســـكـت بكوب الميّـه اللي على الكومودينو، و همست:

- بســم الله، يا رب احفظ لي ابني، واهدّي بنتي إهداء يا رب.

قامت بهدوء وطرقت باب غرفة السيدة فتحية:

- يعني صاحية لحد الوقتي؟

ردّت فتحية وهي خارجة من أوضة النوم:

- مش عارفة، والله مش عارفة أنام، ومازن ابني مش موجود.

ثم تابعت باهتمام:

- روحي نامي في شقتك، أكيد الأستاذ أنور رجع.

ردّت نوال بلا مبالاة:

- يا ستي فكّك، مش هسيبك لوحدك، أهو قاعدين مع بعض.

نظرت لها فتحية وكأنها بتفحص وشّها:

- مالك؟ وشك مخطوف كده ليه؟

أجابتها نوال وهي بتبكي:

- شُــفت كابوس وحش قوي يا أختي، خالد ابني كان بيأكل وبقه بينزل دم، وأنا عمالة أزعّق وأقول له: «بطل أكل يا خالد، هتموت»، والواد مكمّل أكل.

ثم بدأت تبكي بحرقة:

- أنا خايفة عليهم قوي يا فتحية، خايفة عليهم من كل حاجة.

الثانية عشرة ظهرًا

أفاق الجميع على صوت صراخ نور الذي هزّ القصر:

- هي كأنت هتشدّني معاها، شفتها، كأنت ورايا.

تسمرت الكلمات في قلب الجميع، كل واحد حس للحظة إنه بيتنفس بصعوبة، كأن المكان نفسه بيرفض وجودهم.

قال خالد بهدوء مخنوق:

- نور، احكِ، شوفتِ إيه؟

نظرت لهم، ووجهها شاحب كأن الدم انسحب من عروقها:

- هي، كأنت واقفة ورايا، أنا ما شوفتهاش، بس حسّيت، ريحتها، تقيلة، زي مقابر قديمة، صوتها مش مسموع، لكن بيخبط جوا دماغي، ولما بَصّيت في المراية، شوفت عينيها.

سكتت لحظة، ثم همست:

- كأنت بتعيَّط.

نظر مازن إلى الجميع وقال بصوت خافت:

- هي بتلعب بينا، وده مش مكان عادي، هو إي اللي حصلنا إمبارح ؟

قال خالد بصوت متعب:

- شكلنا كده ما قدرناش نستحمل اللي شُفناه..

قالت إهداء وهي تحدق في المرآة:

- لو وصــف نور صــح، يبقى دي روح، بتتمنى حد يسمعها.

نور همست:

- بتصرخ، مش عشان تؤذينا، بتصرخ عشان أخدوا منها كل حاجة، وسابوها معلقة هنا.

قال خالد:

- يبقى مفيش طريق للخروج، إلا لو سمعنا هي عايزة تقول إيه.

قالت إهداء:

- إحنا هنفضـــــل هنا كتير؟! إحنا لينا من بعد الفجر هنا، من غير أكل ولا شرب.

لم يُجبها أحد، فكل منهم يعرف الإجابة جيدًا.

قالت نور وهي تنظر إلى خالد:

- هات التليفون، نجرب تاني، يمكن يشتغل.

قال لها مازن معاتبًا:

- خلاص يا نور، كل حاجة وضـــحت الوقتي وبقت أكثر وضوحًا، ليه عايزة تضيعي وقت على حاجة مش هتعمل غير إنها تضيع وقتنا؟

ثم وقف وأشار إليهم قائلًا:

- الوقتي كلنا هنقوم ونقلب القصر، هنشوف أي حاجة ممكن نفهم منها إيه الحق اللي لازم يرجع، حابين ندور مع بعض، ولا نوفر وقت وكل واحد يدور لوحده؟

اختار الجميع توفير الوقت، وكل منهم يبدأ البحث بمفرده، لكن نور أصرت أن يبقوا معًا.

قال مازن باهتمام:

- الوقتي الغرف كبيرة، كل واحد هيدور ويركز كويس، اللي يلاقي حاجة ممكن تفيدنا يجيبها معاه.

بدأ الجميع تنفيذ الخطة، وأخذوا يقلبون القصر بحثًا عن شيء قد يفيدهم، حتى وقعت أعينهم جميعًا على غرفة الطعام.

كأنت المائدة ممتلئة بجميع أنواع الطعام المفضلة لكل منهم، بالإضافة إلى العديد من كؤوس الماء، دخلوا سريعًا، ونظر كل منهم إلى طعامه المفضل، لم ينتظر خالد، فكان أول من جلس على المائدة وبدأ يلتهم الطعام كأن لم يأكل منذ زمن طويل.

نظرت إليه إهداء متسائلة:

- أنت كويس؟

لم يُجبها، فقد كان الطعام يملأ فمه، ثم أشــــار إليهم أن يجلسوا.

قال مازن محاولًا طمأنتهم:

- يلا يا نور، أنت وإهداء، إحنا لينا كتير هنا وما أكلناش حاجة ولا شربنا، ويا عالم هنقعد قد إيه هنا، ويمكن ما نلاقيش أكل تاني.

جلس كل من مازن وإهداء ونور بجانب خالد، وبدأ الجميع في تناول الطعام، كان الجوع كافيًا لطمس بعض التســـاؤلات العالقة، من الذي حضّـــر المائدة؟ وهل كان الطعم اللذيذ، آخر ما سيشعرون به؟

الفصل التاسع

الطعام يبدو طازجًا، لكنه بارد جدً، رغم أن الأكل يبدو طازج ومطبوخ حالًا، إلّا أن لمســه أو تذوقه يكشـف أنه بارد كأنه خارج من الثلاجة مباشـــرة، البخار الذي كان يتصاعد اختفى فجأة.

كل طبق عليه اسـم أحد الشـخصـيات، وكأن الأكل مُعد خصــيصًــا لهم، المشــكلة؟ بعض الأطباق تحتوي على أطعمة لم يخبروا أحدًا أبدًا أنها المفضلة لديهم، بل أشياء لا يعرفون كيف تذكّروها.

رغم أن الأكل يبدو لذيذًا، إلا أن بعد ثوانٍ تظهر نكهة ترابية أو صــده، لكن لا أحد يريد الاعتراف، لأنه جائع جدًا.

في أول لحظات كان الطعام شـــهي الرائحة، بعد مرور دقائق تبدأ رائحة خفيفة مثل العفن أو خشـــب قديم مبتل

بالظهور، لكنها غير واضحة إلا لمن يتوقف عن الأكل فجأة.

رغم امتلاء المعدة، لم يهده العقل، كان هناك شيء غريب في السكون المحيط، وكأن الهدوء نفسه يختبئ خلفه شيء أكبر،

الطعام كان شهيًا، نعم، لكنه جاء بلا مقدمات، في مكان لا يُفترض أن يوجد فيه شيء، تبادلوا النظرات بصمت، وكل منهم يحاول أن يطمئن نفسه أن الأمور تحت السيطرة، لكن الحقيقة كأنت واضحة في أعينهم جميعًا، ربما لم تكن هذه الوجبة إلا البداية، وبينما كأنت أناملهم تلتقط آخر فتات الخبز، بدأت الرياح خارج المكان تعصف كأنها تنذر بشيء قادم.

لم يتحدث أحد، وكأن الأصوات خافتة بفعل ثقل غير مرئي يملأ الغرفة.

نور نظرت إلى الباب الموصد، ثم همست:

- بس مين اللي كان هنا قبلنا؟ مين حط الأكل؟

لم يجبها أحد، ليس لأنهم لا يعرفون، بل لأنهم خافوا من الإجابة، ربما كان ذلك الطعم اللذيذ، طُعمًا.

بعد أن أنهى كلٌّ منهم طبقه المفضل، وجد رسالة بخط عريض مكتوبة على طبق كلٍّ منهم:

ابحثوا عن شيء، دليل عني، سيساعدكم على جلب حقي، أمامكم ٤ ساعات فقط، إن لم تجدوا شيئًا، فستصيبكم لعنّتي، عندما يبدأ الوقت سأبلغكم.

ساد القلق على وجوه الجميع، قال مازن وهو ينظر إليهم باهتمام بالغ:

- الوقتي مفيش وقت، قدمنا أربع ساعات بس عشان نلاقي أي حاجة تساعدنا، هي قالت إنها هتبلّغنا، لازم نربط كل الخيوط ببعض، عشان نسهّل الأمور على نفسنا.

قالت إهداء وهي تشير إلى الرسالة:

- هي كتبت إنها صرخت كتير ومحدش سمع، يعني أكيد اتعرضت لعنف كبير قبل ما تُقتل، وكتبت كتير محدش قرأ، ده معناه إيه؟

قالت نور بثقة:

- معناه إنها أكيد كاتبة عن حياتها في دفتر.

وما إن أنهت نور كلماتها، حتى بدأ القصر يهتز بعنف، ودوّى في المكان صوت صراخ أنثوي مرعب يشبه صوت البوم، سادت لحظة من الفزع والهلع، وبدت علامات الرعب في عيون الجميع، ثم ظهر العدّ التنازلي مضيئًا على جدران القصر.

صرخ خالد بارتباك:

- يلا، مفيش وقت!

هدأ القصر فجأة، فنهض الجميع بسرعة، قال مازن وهو يتنفس بصعوبة:

- زي ما نور قالت، لازم ندور على دفتر أو كشكول، أكيد كتبت فيه كل حاجة.

ثم نظر إلى السلالم، وقال:

- هنبدأ من فوق.

صعدوا إلى الطابق العلوي، فوجدوا غرفة مغلقة بإحكام، وعليها بصمات دم صغيرة.

قالت إهداء بثقة:

- أكيد هي دي الأوضة اللي هنلاقي فيها الدفتر.

أمسك خالد بمقبض الباب، وقال بارتباك:

- الباب مقفول، لازم نلاقي المفتاح بسرعة.

حاولت نور ربط الخيوط ببعضها:

- هي قالت قدمنا ٤ ساعات نلاقي الدفتر، وعدَّى نص ساعة منهم، المشكلة إننا محتاجين مفتاح، أكيد

مش هيكون في مكان مباشر، غالبًا مخبّيه في حاجة مش هنفكر ندور فيها.

وكأن إهداء تذكرت شيئًا:

- أنا، أنا افتكرت حاجة! لو كلامك صـــح، لازم ننزل غرفة الاســـتقبال، فاكرة إني شـــوفت فيها حاجات غريبة، زي دمية طفلة متّسخة، ولوحة مرعبة جدًا لدرجة إني مقدرتش أبص على تفاصيلها.

نزلوا جميعًـا إلى الطـابق الســـفلي، وبمجرد دخولهم الغرفة، شعر كل منهم وكأنهم سيفقدون وعيهم.

الغرفة تغيرت تمامًا، الغرفة كأنت مليئة بالدماء، والدمية تنزف دمًا أســـود، كل جدار من جدران الغرفة الأربعة تحتوى على أربع لوحات، وكل لوحة تظهر فيها عيون تتحرك وكأنها تراقبهم.

وضــــع الجميع أيديهم على أعينهم، فقد كأنت النظرة وحدها كفيلة بجعلهم يفقدون عقلهم.

صرخت نور:

- أنا هتجنن! أنتوا شــايفين اللوح عاملة إزاي؟! إحنا هنقدر ندور فيهم إزاي؟!

قال مازن محاولًا السيطرة على الموقف:

- اهدوا كلكم ومتخافوش، ربنا معانا ومش هيســيبنا، لازم نهدى عشـــان نعرف نفكر، إحنا أربعة، وكل حيطة فيها أربع لوحات، كل واحد فينا يأخذ حيطة ويدور فيها.

لم يجبه أحد، فقال بحزم:

- هبدأ أنا الوقتي.

أزال يده عن عينيه وبدأ يتفحّص الدمية، لكنه لم يجد شيئًا، قال:

- الدمية مفيهاش حاجة، هبدأ أدور في الحيطة اللي قدام الباب.

تفحّص لوحة تلو الأخرى، ولم يجد شـــيئًا، لكن في كل مرة كـأنـت العيون الموجودة في اللوحـات تنظر إلـه وتتـأملـه، مـا جعلـه يتجنـب النظر إليها مباشـــرة، أنهى محاولاته، ثم أغلق عينيه، وقال:

- يلا يا خالد، دورك، أنا دورت وملقتش حاجة.

اختار خالد الجدّار الذي كان يسند ظهره عليه:

- أنـا هـاخـد الحيطـة دي، وواثق في ربنـا إني هلاقي المفتاح ونخلص.

بدأ يتلو آيات من القرآن الكريم بصـــوت هـادئ يبعث الطمأنينة:

- ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّـيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُـلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُـلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّـيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، (البقرة: 102))

وأخذ يكرر: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.﴾

بدأ الجميع في البكاء من الخوف، والرهبة، والقلق من المصير.

راودهم شعور مرعب:

ماذا إن كأنت نهايتهم هنا؟ هل هم مستعدون لملاقاة الله؟ لماذا لم يستعدوا لهذا إليوم؟ لماذا نسينا أن نحسن الخاتمة؟

قال خالد ونبرة بكائه تخنقه:

- فاضلي لوحة واحدة، وملقتش حاجة،

وقبل أن يُكمل جملته، صرخ فجأة:

لقيت المفتاح! المفتاح! المفتاح أهو يا مازن.

أزال الجميع أيديهم عن أعينهم في دهشة وعدم تصديق، نظروا إلى بعضهم البعض، وكأنت نظراتهم مليئة بالفخر والأنتصار،

قال خالد وهو يبتسم:

- يلا، نطلع من الأوضة دي.

صـــــعدوا إلى الطـابق العلوي، فوجـدوا بـاب الغرفـة، مفتوحًا.

صرخ خالد بغضب:

- مش الباب ده كان مقفول؟! اتفتح إزاي؟

قال مازن وهو يخفض صوته وينظر حوله:

- هي بتلعب بينا، وعايزة تضيّع وقتنا.

قال خالد بغضب:

- يعني المفتـاح ده ملوش لازمـة؟ بعد مـا كنـا هنتجنن وإحنا بندوّر عليه؟

قالت إهداء باهتمام:

- حطه في جيبك، يمكن نحتاجه تاني، يلا بســـرعة، فاضل ساعة تقريبًا.

دخلوا الغرفة، وما إن دخلوا حتى سـمعوا جميعًا صـدى صـراخ ينادي بأسـمائهم بصـوت أنثوي مرعب، ثم كُتب على الجدران بدماء:

- لن تنـالوا الحقيقـة إلا إذا واجهتم ذنوبكم، احـذروا، فالخائن بينكم.

الفصل العاشر

أخذ الجميع يقرأ بصــوت منخفض: «الخائن بينكم»، ثم بدأ عدٌّ تنازليٌّ جديد يظهر على الحائط، وانخفض الباب بقوة، وظهرت على الجدران كتابات بالدماء: »أعيدوا حســاباتكم، لعلكم تنجون بأنفســكم، أمامكم ســاعة واحدة لإعادة الحسابات«.

قالت نور بارتباك:

- يعني، حد فينا هو الخاين؟

ردت إهداء، وقد بدأ الشك يملأ نظراتها نحو نور:

- إحنا عارفين عن بعض كل حاجة، خالد ومازن من وهم أطفال، وإحنا دايمًا مع بعض، بنعمل كل حاجة سوا.

ثم نظرت لنور بغيظ، وقالت:

- الدور عليكِ بقى، إحنا لسه نعرفك من سنتين بس.

وكادت تُكمل، إلا أن مازن صفعها صفعة قوية أسقطتها على الأرض، صرخ وهو غاضب:

- أنت إيه اللي بتقوليه ده؟

تدخل خالد، وهو يسند إهداء:

- أنت إزاي تعمل كده؟

قالت إهداء وهي تبكي:

- كده يا مازن؟ تضربني علشانها؟ علشان نور اللي لسه نعرفها من سنتين بس وإحنا عشرة عمر، تضربني بالقلم؟

قال خالد وهو يحاول تهدئة الموقف:

- أنت عارف إن إهداء أكيد مش قصدها.

قالت نور وهي تبكي:

- مكنتش أتصور ييجي يوم أبقى فيه غريبة في نظركم.

ثم نظرت إلى إهداء وقالت بصوت مرتعش:

- ربنا يعلم أنا بحبك قد إيه، من أول ما شفتكم، اعتبرتكم إخواتي بجد، بقيت أحكي لك عن كل اللي يضايقني، بقي ليَّ أخت وأخين أقدر أستند عليهم.

تابعت وهي تحاول كتم دموعها:

- عمري ما هنسى آخر سنة ليَّ في الكلية، لما واحد حاول يتحرش بيا في الشارع، أول حد اتصلت عليه كان مازن، وقلت له ييجي بسرعة هو وخالد، كنت متأكدة وقتها إنهم هييجوا، وجم فعلًا، أنا عمري ما ندمت على معرفتكم، حتى لو أنتوا ندمانين على معرفتي.

ساد الصمت، وتأثر الجميع، حتى إهداء، لكنها رفضت أن تعتذر، على الأقل الآن.

اقترب مازن من نور، ونظر في عينيها، وقال بصوت خافت:

- أنا عمري ما ندمت على معرفتك يا نور.

ثم أكمل وهو يتردد:

- نور، أنا.

لكن خالد أدرك ما كان مازن على وشـــك قوله، وهذا ليس وقت اعترافات حب.

تدخل بسرعة ليقطع الحديث:

- نور، كلنا مش ندمانين على معرفتك، حتى إهداء، رغم اللي حصل.

قالت نور وهي تتلعثم:

- خلاص، نخرج من هنا، وأوعدكم مش هتشـــوفوني تاني.

جلس كلٌّ منهم أرضًـــا، ينظر إلى العد التنازلي، وبدأت الأسئلة تدور في عقولهم،

أهذا نحن؟ من كنا نظن أننا أكثر من إخوة، مجرد شـك، فرقنا، وربما أضاعنا إلى الأبد.

أخذت إهداء تبكي، لم تكن تدري هل تبكي لأنها جرحت نور بكلماتها، أم لأن مازن الذي تعتبره أخاها ضربها؟!

كأنت علاقتها مع خالد ومازن علاقة من نوع خاص، فقد وُلدوا في نفس الأسبوع سنة ١٩٩٩خالد أولهم، ثم إهداء ابنة عمه، ومازن جارهم العزيز، توفيت والدة إهداء يوم ولادتها، وأصبحت والدة خالد أمًّا لها، أرضعتها، واعتبرتها ابنتها، حتى أصبحت أختًا لخالد في الرضاعة، لم تشعر يومًا أنها بلا أم أو إخوة، درسوا معًا، نجحوا معًا، دخلوا كلية الإعلام معًا، تتذكر جيده يوم تعرفهم على نور، كان من خلال مواقع التواصل، حين لم يجدوا عملًا بعد التخرج، وقرروا دخول مجال السوشيال ميديا، كأنت نور مشهورة وقتها، وأُعجبت إهداء بطريقة سردها للقصص الحقيقية، جمعت وقتها مازن وخالد، وأخبرتهم بنور،

مازن أُعجب بها من النظرة الأولى، وأصر على أن تتواصل إهداء معها، وبالفعل حدث اللقاء، وكان واضحًا

مدى إعجاب مازن بها، ومنذ ذلك اليوم، شعرت الغيرة تشتعل في قلبها، رغم أن مازن أخوها بكل الطرق، إلا أنها شعرت أن غلاوة نور قد تسرق غلاوتها، وهذا ما حدث اليوم.

أفاقت من شرودها وهي تلمس وجهها، وآثار كف مازن ما زالت تؤلمها.

سمعته يقول بصوت خافت مازح:

- بقولك يا زفتة، متزعليش مني.

اقترب منها، وقال:

- اديني رأسك أبوسها.

نظرت له بعتاب، وقالت:

- ولا تبوس رأسي ولا رجلي، مش عايزة حاجة منك، ومش زعلانة أصلًا.

لكنه همس في أذنها:

- اعتذري لنور، شكلها زعلانة أوي.

ثم أضاف:

- عشان خاطر غلاوة أخوكِ عندك.

نظرت إليه، وردت بصوت منخفض:

- عشان خاطرك أنت، والله.

أنتظرت بضـــع دقائق، حتى لا يُفهم أن مازن هو من أخبرها، ثم قالت بنبرة اعتذار:

- آسفة جدًا يا نور، على اللي حصل، بس والله، أنت عـارفـة إني لمـا بخـاف، بيطلع مني كلام مش محسوب، حقك عليَّ.

ثم اقتربت منها وهي تبكي، وقالت:

- أنـا كنت محتـاجـة أخت بنت أوي، ولمـا لقيتك ما صدقت، تيجي تقولي لي الوقتي إنك عايزة تسيبينا؟

احتضنتها نور وهي تبكي، وقالت:

- أنا بحبك أوي يا إهداء، ومش زعلانة منك.

كأنت بينهم حاجة غريبة، يتخانقوا كتير، يجرحوا بعض بكلمة أو بنظرة، بس عمرهم ما عرفوا يسـيبوا بعض فعلًا، الخلاف دايمًا كان سابق الحب بخطوة، بس الحب عمره ما اتأخر، حتى وهما بيكسروا بعض من جوه، ما حدش فيهم قدر يبعد بصـدق، كل واحدة كأنت دايمًا بتدور على الثانية من غير ما تقصد.

إهداء كأنت حاسـة إن نور سـرقت مكان مش من حقها، ونور كأنت دايمًا حاسـة إنها ضـيفة وسـط حكاية اتكتبت من زمان،

لكن وسـط الخناقات والوجع، كانوا دايمًا بيرجعوا لبعض، أول ما الدنيا تضـيق، زي اتنين دايمًا في شـد، بس كل واحدة عارفة إن الثانية هي السند الحقيقي، وإنها الوحيدة اللي لو وقعت، مش هتقوم غير بإيدها.

اللسان ساعات بيغلط، بس القلب عمره ما نسي هما إيه لبعض.

الفصل الحادي عشر

في الصــباح الباكر، اســتيقظنا على صــمتٍ غريبٍ يلفّ المكان، وكأن القصـر نفسـه يحتبس أنفاسـه، لم يكن هناك أي تهديدٍ كما كنا نتوقّع، لا أصــوات، لا حركات مريبة، فقط السـكون، وكأن شـيئًا لم يحدث، لا ندري كيف تمكّنَّا من النوم بعد كل ما جرى في الليلة الماضــية، ربما كان التعب قد غلبنا، أو ربما كنا نهرب من التفكير، لم نتبادل الحـديث عمـا حـدث، وكـلٌ منـا تجنّـب النظر في عيني الآخر؛ ليس خوفًا، بل رغبة في أن يبقى الصـمت غطاءً على ما لا نريد أن نُفصِح عنه.

حين نهضــــنا، بدأ كل شــــيء باهتًا، لم نجد الطعام الذي وُضــــع لنا في إليوم الســــابق، لا أثر لأي ترتيب، ولا رائحة شـهية تلوح من بعيد، شعورٌ خفيّ بالقلق بدأ يتسلل إلىنا من جديد.

خرجنا من الغرفة وبدأنا نتجول في أرجاء القصر، جدرانه الطويلة تحاصرنا، وزواياه العتيقة تحمل أسرارًا لا نعرفها بعد، كل خطوة نخطوها كأنت تفتح لنا بابًا من التساؤلات: من كان هنا؟ ولماذا؟ وهل حقًا ما عشناه كان واقعًا أم مجرد وهمٍ عابر؟

وأخيرًا، وجدنا الحمّام، فأخذنا نشرب من مائه رغم صعوبته، كان الأمر قاسيًا على نور وإهداء، لكن لم يكن هناك بديل، كدنا نموت عطشًا.

وبينما كنا في الحمّام، لاحظنا وجود هاتف قديم مغلف بجوار الباب، أمسكه كلٌّ منا بدهشة، ثم تابعنا التجول في أرجاء القصر.

أسفل أحد الأسرة، وجدنا قطع طباشير قديمة جدًا.

تنهدت إهداء، وقالت بسخرية:

- تليفون قديم وطباشير؟ ده اللي هيخرجنا من القصر؟

رد خالد وهو يحاول الفهم، ثم زفر بضيق :

- مش عارف.

قالت نور باهتمام واضح:

يلا نكمّل، يمكن نلاقي حاجة تانية.

ظل الجميع يبحثون حتى وجدوا صــورة ممزقة، حاولوا تجميعها وفك الشفرة المكتوبة على ظهرها.

قالت نور بحماس:

- أخيرًا! بصّـــوا، دي (ص)، و(د)، و(ي)، و(ق)، يعني صديق.

ثم أشارت إلى جزء آخر من الورقة:

- والكلمة الثانية باين أوي إنها (الطفولة)، مش ممزقة زي كلمة صديق.

تنهدت إهداء وكأنها تذكّرت شــيئًا، لكنها حاولت إخفاء ذلك.

قال مازن وهو ينظر إلى نور باهتمام:

- حطيهم في الشـــنطة، مع التليفون، لحد ما نخلص، وبعدين نقعد نفكر كلنا سوا، يمكن نوصل لحاجة.

وبعد المزيد من البحث، وجدوا أدوات طبية، جبس، وبعض المستحضرات التي تُستخدم في علاج الكدمات والضربات.

قالت نور بدهشة:

- الحاجات دي كنت بشـــوفها عند عمتي، الدكتورة سعاد.

تنهد الجميع، وبعد بحثٍ طويل دون فائدة، عادوا جميعًا إلى الغرفة التي قضـوا فيها ليلتهم السـابقة، يبحثون عن بعض الراحة بعد ما مرّ بهم، لكن ما إن دخلوا حتى تبددت آمالهم سـريعًا؛ فقد كأنت الجدران مغطاة بالكامل بذلك السـهم الأحمر المألوف السـهم الذي يشـير نحو الأسفل، نحو نقطة البداية، نحو الصالة، أمام المرآة.

أنتشر خبر الاختفاء كالنار في الهشيم، وبدأت التساؤلات تتصاعد من كل حدبٍ وصوب:

هل هم فعلًا مخطوفون، أم أن كل هذا مجرد تمثيلية لإثارة الجدل وتحقيق الشهرة؟

في زمنٍ بات فيه كل شـــيء ممكن، لم يعد هناك ما يفاجئنا، فقد أصبح بعضهم لا يتردد في اختلاق القصص من أجل لفت الأنظار، حتى لو وصـــلت إلى حد إعلان وفاته زورًا، فقط ليكسب بضع مشاهدات ويصعد إلى قوائم التريند، هكذا هو عصـــرنا، كل شـــيء فيه قابل للتصديق، وكل شيء فيه قابل للتمثيل.

والدة نور أصبحت مقيمه في المستشفى لديها يومان فقد علمت أن ابنتها في خطر وكلا من والدة مازن وخالد لا يمتلكون شيء سوا الدعاء .

قالت أم خالد بتعصب :

- شـــايفة يا فتحيه منزلين صـــور العيال وكاتبين هل هما فعلا مخطوفين ولا بيعملوا كده عشان التريند

قالت فتحيه وهي تبكي:

- تريند إي، قلبي بيقول لي العيال فيهم حاجة، ياريتهم ما راحوا.

أضافت نوال وهي تقرأ التعليقات:

- بصي الناس كاتبين إي؟ في منهم اللي بيقول إنهم مش محتاجين تريند هما أصلًا عندهم متابعين كتير وإنهم مش بتوع الكلام ده، وناس تاني بيشتموا على العيال .

ثم أخذت تقول: الله يخرب بيت النت واللي اكتشفه كان يوم أسود.

الفصل الثانى عشر

دلفوا جميعا إلى الأســـفل بخطوات مترددة، تســـبقهم أنفاسهم الثقيلة، وأعينهم تلاحق الظلال التي تتحرك على الجدران كأنها تراقبهم.

الجو كان أهدأ من اللازم، صـــمت قاتل يُخفي خلفه عاصـــفة قادمة، وقف الجميع أمام مرآة القصـــر ودماء تسيل من حروف الكلمات.

نور – سكتِّي

مازن – كذبت

خالد – قهرت

إهداء – خذلت

دوّى صـــوت أنثوي من كـل اتجـاه، مزيج من الألم والأنتقام:

- أنتوا دفنتوني وأنا لســه عايشــة، جوه القصــر ده، مش بس هتفتكروا، هتعيشوا اللي عشتُه.

تغيّر لون الجدران إلى الأســود، والأبواب اختفـت، الأرض بدأت تهتز، وكل واحد منهم يســـحب في اتجاه مختلف، ثم تابعت بصرخة هزت أرجاء القصر:

- من أنتم، علشان تقرروا مصيري؟

بدأت الأرض بالانشـقاق وبدأ على الجميع آثار الدهشـة، قال خالد صارخًا:

- يلا بسرعة، مفيش وقت نطلع.

لم يســتطيع تكملة جملته فبدأ القصــر في الإنهيار وأخذ كل منهم يبتعد عن الآخر كأن في روح تســاعد على الابتعاد، سقط جمعهم أرضًا وفقدوا الوعي.

دَقَّ الباب، فقامت السيدة نوال بفتحه، تنتظر باستغراب إلى من يرن الجرس، وما هي إلا لحظات حتى ظهر شاب وسيم، تبدو على ملامحه الحيوية واللياقة، شاب رياضي بعضلات بارزة.

رحّبت به السيدة نوال بحرارة:

- اتفضل يا عمرو يا ابني، تعالى، البيت بيتك.

أجابها عمرو وهو يدخل بخطوه هادئة، وصوته يحمل مزيجًا من الحزن والدهشة:

- والله يا طنط، أنا لسه راجع من السفر، واتصدمت لما عرفت اللي حصل، مش قادر أصدق، ده أنا ليلة سفري كلمت إهداء علشان كانوا هيعملوا لي إعلان لمحلي الجديد، وللآسف رفضت.

نظرت إليه السيدة نوال بدهشة، ثم سألته بنبرة مستنكرة:

- أمال مين اللي عمل الافتتاح بتاع محلك؟ ما أنت مكنتش موجود.

ردّ عمرو بثقة وهدوء:

- كان عندي شــغل كتير في إســكندرية، ومقدرتش أأجّله، فقلت لأحمد صـاحبي ييجي بدإلى، حضـرتك عارفة إنه زي أخويا، وما بيقصرش.

ثم تابع باهتمام واضح:

- مفيش أخبار عنهم؟ ربنا يعلم، أول ما شوفت الخبر، قلبي وجعني، يا رب يكونوا بخير.

نظرت إليه السـيدة نوال بابتســامة فيها امتنان، وقالت بخجل:

- فيك الخير يا بني، تسلم على سؤالك.

أخرج عمرو من جيبـه ظرفًا بـه مبلغ من المـال، ومدَّه إليها وهو يقول بإصرار:

- اتفضلي، دول ليك.

شدّت السيدة نوال يدها بقوة، وهي تقول رافضة:

- معايا والله، مش محتاجة حاجة.

نظر إليها نظرة عتاب ممزوجة بالحنان، وقال:

- يعني أنا مش في مثابة خالد أو مازن؟ اتفضلي، ده لكِ أنت ولخالتي أم مازن، دي أقل حاجة أقدر أقدمها، ربنا يعلم مازن وخالد غالين عليَّ قد إيه، وبردو، إحنا كان بينا عيش وملح.

ثم انصرف عمرو بهدوء.

دخلتُ بعدها غرفة السيدة فتحية، رويت لها ما حدث، قالت السيدة فتحية بنبرة حزينة:

- أصيل، والله ربنا يبارك له، عمره ما قصّر مع حد فينا، ما يعرفش قد إيه هو طيب ومحترم، مش عارفة العيال بيغيروا منه ليه؟

ردَّت عليها نوال وهي تلوي فمها بسخرية:

- علشان أشطر منهم، وناجح، مش بيجري وراء النت والهرج والمرج.

القصر

استيقظ الجميع ليجد كلٌّ منهم في غرفته التي دخلها من قبل، لكنها كأنت مختلفة، الديكور تغيّر، الألوان تحوّلت، وكأن الزمن نفسه تبدّل، نظر كل منهم حوله في ذهول، وأخذوا يصرخون بأسماء بعضهم البعض، لكن لم يُسمع أحدهم صوت الآخر، عندها فقط أيقنوا أن الانشقاق الذي حدث كان ليفرقهم، ليجبر كل منهم على مواجهة ذاته، بعيدًا عن المجموعة، لكن ظل سؤال واحد يطاردهم جميعًا: «من تكون تلك الفتاة؟ ولماذا نحن الأربعة بالذات»، كان كلٌّ منهم واقفًا داخل غرفةٍ، تشبه جزءًا من ماضيه الذي ظن أنه نسيه، لكن الذاكرة لا تموت، والندم لا يهدأ.

غرفة مازن

تشبه غرفته قبل ثلاث سنوات، لكنها الآن محاطة بجدران مكتوب عليها بخط واضح، كل رسالة كتبها لفتاةٍ ما، بحسابٍ وهمي، على كل جدًار، محادثةٌ مختلفة،

وكلمات متكررة: »أوعدك هنتجوز، أنا بس مش جاهز الوقتي«، وفي منتصف الغرفة، شاشة هاتف ضخمة، تعرض وجوه فتياتٍ كثيرات، كلهنّ فتاة واحدة، لكن في مراحل مختلفة من الحزن، كل وجه يروي خيبة أمل.

غرفة نور

تشبه عيادة عمتها الطبيبة إسعاد يوسف، ضوء خافت، جدران بيضاء، لكنها ملوّثة بالدم، على الجدَار شاشة قديمة، تُعيد مشاهد واحدة باستمرار: فتاة مراهقة، يداها مغطاتان بالكدمات، تهمس بصوت خافت: «إيدي بتوجعني»، وصوت نور، يعلو بالضحك: «وقعتِ في المطبخ تاني؟»، ثم تتوقف الصورة، وتُعاد.

غرفة خالد

تشبه فصله في المرحلة الثانوية، فصل دراسي مظلم، على الجدران لوحات ممزقة ومحترقة، كلها رسومات طفولية بريئة من تلك الفتاة على السبورة، كُتبت عبارة: «ضحكت؟ أنا كنت بعيط».

غرفة إهداء

ليست كغرفتها، بل أكثر هدوءًا، على الجدران، صورٌ كثيرة لها في طفولتها، في المدرسة، في الأعياد، وبجوارها تلك الفتاة، تضحك، وفجأة، تبدأ الصور بالتسوّد، واحدة تلو الأخرى، ولا يبقى سوى صورة واحدة، تلك الفتاة، تنظر إليها بعينين مليئتين بالحزن والخذلان.

كلٌّ منهم نظر إلى الغرفة في ذهول، ثم نطقوا اسمًا واحده فقط: «ريم!»

وبمجرد أن نُطق الاسم، تغير كل شيء، القصر عاد كما كان، لكن الظلام ما يزال يملأه، وعلى جدران كل غرفة، كُتبت جملة واحدة بخط عريض بلون أحمر قاتم: «لسّه فاكرين ريم؟»

الفصل الثالث عشر

لم تكن الجدران في ذلك القصـر مجرّد حجارة صـامتة، بل كأنت تحفظ الأسـرار كما تحفظ الندوب، وكلّ سـرٍ مخفي، حان وقت خروجه، بصوتٍ يجلجل من الأعماق، لا يرحم، ولا يترك مهربًا.

في تلك الليلة، كان على نور وخالد ومازن وإهداء أن يواجهوا الحقيقة، حقيقة أنفسـهم قبل أن يواجهوا شـبح ريم.

نور

قالت بصوت مكسور، تغلّفه الدموع:

- أنا مش فاهمة، إيه اللي بيحصـل ده؟ أنا عمري ما عملتلك حاجة، بالعكس، دايمًا كنت بقول لعمتي ما تأخدش منك فلوس،

أنا كنت مفكرة إنك بتعملي كده عشــــان متشـــتغليش في البيت، مش أكتر.

وتابعت، تبرر الموقف وهي تنظر حولها :

- لو كنتِ قلتِ لي، كنت أكيد هساعدك، وهجبلك حقك من أهلك.

فردّت الجدران بجملة واحدة:

- حاولت كتير، مردتيش تسمعيني.

تذكرت نور ذلك إليوم، حين طرقت ريم باب غرفتها، وقالت بصوت مكسور:

- أستاذة نور، عايزة أقولك حاجة.

لكنها ردت بصوت مرتفع:

- قولت مية مرة محدش يدخل الأوضــــة! أنا مش فاضية يا ريم، لو عايزة فلوس زيادة، قولي لماما.

فقالت نور وهي تنتحب:

- أنا مكنتش أعرف إنك كنتي محتاجاني فعلًا، أنا آسفة يا ريم، والله، أنا حتى يوم ما عرفت إنك أنتحرتِ، كنت في صدمة حقيقية، وكنت بدعيلك على طول بالرحمة، عشان خاطري، متعمليش فيَّ حاجة.

لكن الجدران ردّت:

- عارفة، لو كنتي سمعتي، مكنتش رحت أشكي لحد، ويأذيني أكتر.

ثم كُتب من جديد بخط دهم:

- عذابك أهون منهم يا نور، هما أذوني أكتر منك.

خالد متوترًا، قال بصوت نادم:

- ريم، إحنا كنا عيال، أنا عارف إني كنت بتنمر عليكِ كتير، بس مكنتش أعرف إنه هيأثر فيكِ كده، أنا آسف، وحقك عليَّ.

فكتبت الجدران:

- تنمّرك كان سـبب كبير في عدم ثقتي في نفسـي، خلاني أصـدق أي كلمة حلوة، وأوثق في بني آدم دمر حياتي، ضـحكتك قدام الناس كأنت بتكسـرني أكتر من الشتيمة، كنت بضحك معاكم عشان أندمج، بس كنت بعيط لوحدي.

جلس خالد على الأرض، يضع رأسه بين يديه، لا يفهم، ولا يقدر على المواجهة، صوته يتهدج وهو يهمس:

- ريم، سـامحيني، كنت غِبي وأنا بتنمَّر عليكِ، ضـحكتي اللي كنت بضـحكها مع العيال، كأنت بتكسـرك، وأنا مكنتش فاهم، أقسـم بالله ما كنت عارف إنها هتوجعك كده.

رفع رأسـه للحظة، نظر للجدَّار كأنه ينتظر رده، لكن الصمت كان أثقل من أن يُحتمل.

مازن : ريم.

ثم تردد، حاول أن يبدأ، لكنه صــمت، أخذ نفسًـــا عميقًا، وقال:

- أنــا عــارف، عشّـــمتـك كتير إني هتجوزك، بس الظروف، هي اللي منعتني و...

وقبل أن يُكمل، جاء صوتها، هزّ جدران القصر:

- لسّه مصرّ تكدب؟ لسّه ما اتغيّرتش؟

أجهش بالبكاء، وقال:

- كنت عيل طايش، مكنتش أعرف إنك هتتعلقي بيَّ كده.

لكن صوتها استمر في الصراخ:

- أنا حكتلك كل حاجة عني، وثقت فيك أكتر من أي حد، حكيتلك عن اللي أبويا بيعمله فيَّ، وأنت كنت دايمًـا تقول أوعدك هتجوزك وهريحك منهم، بس كنت بتضـــحك عليَّ، ليه؟ كنت بصـــدق كل حرف بتقوله، إزاي قدرت؟!

وتابعت وهي تبكي:

- لسّـــه فاكر لما كملنا ســـنة بنتكلم وقلت لك عايزة أشوفك؟

تجاهلت الموقف، ولما ضـــغطت عليك، مســـحت كل حاجة، كأنها كأنت لعبة بالنسـبالك، إزاي حد يديك قلبه، وتحكي لـه أوجـاع عمرهـا مـا اتقـالـت لحـد، وتكـافئـه بـالخذلان؟ إزاي تبني جدار من الثقـة، وترجعه تراب؟ كنت بتتســـلي؟ بس أنا كنت بعيش، كنت بتعلق بيك، وبحلم بكلمة منك.

إهداء

كأنت تنظر إلى الصـــورة الوحيدة المتبقية على الجدًار، ريم تضحك، تحتضنها في صورة قديمة، وفجأة، انشـقّ الجدًار أمامها، وظهرت عليه كلمات دامية:

- فاكرة لما بعدتي؟ ليه يا إهداء؟

تجمّدت إهداء مكانها، تنظر إلى الجدًار وهي تهمس:

- أنا، أنا كنت ضعيفة يا ريم، مكنتش عارفة أواجهك ولا أقولك الحقيقة.

بدأت الجدران تُعيد مشـــاهد من الماضـــي، ريم وهي تنتظرها في الفسحة، ريم وهي تكتب لها في الدفتر، ريم وهي تنادي عليها بإلحاح:

- إهداء! مالك؟ زعلانة مني؟

ردّت إهداء، بصوت مخنوق بالبكاء:

- أنا كنت بحب حد، ولما عرفت إنك قريبة منه، قلبي اتقفل، مكنتش عـارفـة أتحمـل، بـدأت أبعـد، وأرد عليكِ ببرود، ويمكن، أجرحك بكلامي عن قصـــد، بس والله ما كنت بكرهك، أنا كنت بكره إحســاســي بـالعجز، وبغير، مش منك، من اللي شـــفتـه بينك وبينه.

فكتبت الجدران:

- أنا كنت محتاجكِ وقتها، أكتر من أي وقت، بس لقيتك أول واحدة سبتني.

صرخت إهداء:

- أنا آسفة يا ريم، كنت صغيرة، وتصرفت بأنانية، بس عمري ما نسيتك، كنت غلطانة معرفش الصح من الغلط .

وبقي الأربعة وحدهم في الظلام، لكن هذه المرة، لم يكن ظلام القصر، بل ظلام داخلهم، يعرفون أنه لن ينقشع بسهولة.

فتحت أبواب الغرف جميعها، وعلم كلٌّ منهم أن مواجهته قد أنتهت، وأن الوقت قد حان ليطمئنوا على بعضهم البعض،

خرج الجميع وبقوا في الصـــالة أمام المرآة، عدا مازن، الذي لم ينزل، بل جلس في غرفته يبكي، يبكي بحرقة، نزلت نور من على درج الســـلم وهي تجري، وهرعت لاحتضـــان إهداء وهي تبكي بشـــدة، ثم نظرت إلى خالد وقالت بصوت مختنق:

- أنا ســـمعت صـــوتها، كأنت بتكلم مين؟ أنت؟ ولا مازن؟

نظر إليها خالد بعد لحظة صمت وفهم، وقال باستغراب:

- صوت إيه؟ أنا ما سمعتش حاجة.

تساءلت إهداء، وهي تحاول أن تتماسك:

- صوت إيه يا نور؟ ريم اتكلمت؟

أدركت نور حينها أن الصـوت والصـراخ الذي سـمعته كان من غرفة مازن، لم تستطع تمالك نفسها عندما رأته ينزل من على درج السلم وكأن شيئًا لم يكن.

فجأة، صـــفعت نور مازن صـــفعة قوية أذهلت الجميع، وصرخت فيه:

- أنت، أنت اللي عملت فيها كده؟

تدخل كل من خالد وإهداء يحاولان تهدئة الموقف، لكن نور لم تتوقف عن البكاء.

نظرت إليه باشمئزاز، وقالت:

- إزاي جالك قلب تفضل تعشم فيها، وفي الآخر كنت بتتسلى بيها؟

ارتبك مازن، وضع يده على وجهه، وصاح بانكسار:

- كنت عيل طايش! مكنتش عارف إنها هتتعلق بيَّ بالشكل ده.

ثم تراجع خطوة للخلف، صوته يتقطع:

- أنا عارف إني جرحتها، بس والله ما كنت قصـــدي أخون ثقتها، أنا نفســـي الوقتي مش قادر أســـامح نفسي.

ثم تابع بصــوت مرتجف، وهو يحاول أن يبرر نفســه أمامها ودموعه تنهمر:

- نور، أنا عمري ما حبيت حد قدّك، واســإلبهم، من ساعة ما شوفتك وأنا بحبك، بجد، بقيت أشتغل أكتر وأكتر عشان أكون على قدك، عشان أتجوزك.

نظرت إليه وهي تبكي، وقالت بمرارة:

- كذاب، مش هقولك غير إنك كذاب.

اقترب منها، يحاول تهدئتها وهو يبكي كطفل مكسور:

- نور، أنـا عـارف إن من حقك تزعلي، وتكرهيني حتى، بس كل بني آدم بيغلط، وأنا غلطت، بس مش قادر أعيش من غيرك،

أرجوكِ، سامحيني.

نور ظلّت تحدّق فيه، غاضــبة، ممزقة بين الكراهية والحنين، همست بصوت مرتعش:

- إزاي قدرت تضحك عليها بالشكل ده؟

مازن لم يجد ما يقوله، فانهار جاثيًا على ركبتيه، يبكي بحرقة كالطفل.

لأول مرة، رأت نور ضعفه الحقيقي، لم يكن متكبرًا أو قاسيًا كما اعتادت، بل مجرد إنسان محطم.

سادت لحظة صمت خانقة، خالد يشيح بنظره وهو يتنفس بثِقَل، إهداء تضع يدها على فمها حتى لا تنهار، أما نور فكأنت تقف أمام مازن، مترددة، قلبها يصارع عقلها، ثم ببطء اقتربت منه، وانحنت لتحتضنه.

انفجر الاثنان في بكاء متواصل، كأنهما يُفرغان كل ما تراكم من خذلان وندم وحب لم يمت.

اعترف كل منهما بحبه للآخر، بكلمات لا تحتاج إلى ترتيب، ولا شرح، فقط مشاعر صادقة كأنت تحتاج إلى لحظة صدق

ضمَّها إلى صدره بقوة، وكأنّه يعيد احتضان الحياة، وهمست هي في أذنه:

- أنا لسه بحبك.

همس هو بصوت مخنوق:

- وأنا عمري ما بطّلت أحبك.

أحيانًا، لا يُقاس الحب بعدد الكلمات، ولا يُحكم عليه من أول خطأ، فالإنسان إذا أحبّ بصدق، يصبح قادرًا على أن يعفو، ويغفر، ويتجاوز، لأن الحب الحقيقي لا يعني فقط أن نتمسك بمن نحب، بل أن نمنحهم فرصة جديدة حين يسقطون، كما منحونا يومًا أسبابًا لنعيش .

الفصل الرابع عشر

قالت إهداء وهي تحاول أن تتماسك: «بصوا المرآة».

أفاق مازن ونور من شـــرودهم وهم ينظرون إلى المرأة التي أخذت تكتب وتسير الدماء منها.

نور: لســـه فاكرة لما ســـألتيني عن الكدمات كنت أول وآخر حد لاحظ، بسكوتك كنت شريكة، خالد، ضحكت عليَّ كتير كنـت مفكرني مســـلية، تنمرك عليَّ كان بيضـــبحني كل ليلة ، إهداء، يا أقرب الناس، صـــديقة عمري كرهتني عشان نظرة ولد أنت أول واحده خلتيني أصدق إني مش مستاهلة الحب، مازن، أول مرة حسيت إني بنت كنت فاكرة إن أخيرًا حد حبني بس طلعت لعبة في إيدك .

هنا المواجهة الأخيرة، حيث لن يكون الألم ذنبًا فرديًا فقط، بل سر مشترك .

نظر بعضـــهم إلى بعض في دهشـــة، فقالت إهداء وهي تنظر إلى مازن:

- أنت عملت فيها كده.

نظر إليها نظرة حادة وهو يعاتبها:

- نفس اللي أنت عملتيه فيها.

نظر إليها خالد بغضب مما جعلها تصمت.

أخذت المرآة تكتب مجددًا: «لســه في حد فيكم، ما قالش الحقيقة كلها».

نظر الأربعة لبعضهم بقلق.

نور: «مين فينا؟ إحنا قلنا كل حاجة».

مازن يقول بحدة: «اســتنوا، يعني في حد لســه مخبي سر؟»

خالد يقول بصوت مرتعش: «لا، مستحيل».

إهداء بصوت مهموس: «يمكن، في حاجة تانية».

جلس جميعهم أرضًا يحاولون ربط الأحداث جميعها ببعض ،ويقص كلًا منهم المعلومات التي كان يعلمها عن ريم ،

أخرجت نور كل ما وجدوا في القصر، ثم أردف مازن بثقه وهو يقول:

- الطباشير دي بتشير لخالد نسبة للفصل اللي كانوا فيه سوا، والتليفون ده.

ثم تابع حديثه وهو متماسكًا: بيشير ليَّ، والصورة دي لإهداء، أكيد والحاجات دي اللي نور قالت إنها شافتهم قبل كده عند عمتها.

نظر له خالد وكأنه بدأ فهم ما يدور في عقل مازن، وقال:

- يعني كل ده إحنا شوفناه بس معرفناش نربط الأحداث ببعض فكده لسه في حاجة محتاجين نلاقيها يمكن نلاقي حاجة توصلنا للي خلا ريم تنتحر.

ثم تابعت نور وهي تقول: أو يمكن اتقتلت.

نظرت لها إهداء وهي تقول: اتقتلت إزاي يعني!

نور وهي تحاول أن تربط جميع الأطراف:

- إحنا أول مرة دخلنا المرآة كتبت أن مش هنخرج غير لما الحق يرجع و...

قاطع حديثها خالد وهو يقول:

- ما يمكن إحنا بتصرفتنا دي خليتها تنتحر وهي عايزة حقها مننا إحنا.

وضعت إهداء يدها على رأسها وتسحب شعرها للخلف وهي تقول:

- هتتجن مش عارفة أصدق مين فيكم .

قالت نور وهي تنظر لإهداء:

- اهدوا وركزوا معايا، في حد خامس مشترك معانا في الجريمة ويمكن يكون هو القاتل.

شهقت إهداء: حد خامس واشمعنا إحنا اللي اتحبسنا وهو أو هي قاعدين بره.

نظر إليها خالد باشمئزاز وهو يقول لها بغضب:

- اسكتي متتكلميش.. ممكن.

قال مازن بصوت متشنِّج:

- كفايه شغل عيال بقا.

ثم تابع حديثه: حاسس إن كلام نور صح وكمان في حاجة مهمة أنتوا نسيتوها إحنا كل اللي عملناه في ريم كان قبل انتحارها بسنتين ويمكن قبل كمان، يعني إهداء الخناقة بينها وبين ريم كانت في ثانوي أساسًا.

ثم تابع ليصدقوا كلامه:

- ليه منتحرتش بعد اللي أنا عملته فيها بما إني آخر واحد أذتها، أكيد في حد خامس مشترك ويمكن هو اللي قتلها.

قال خالد: العمل إي؟

نظر إليهم مازن بإشارة هادئة يدعوهم للنهوض والبحث من جديد، لكنه وجد الجميع يرفضون، قالوا له بصوت متعب:

- لقد مضى علينا يومان بلا طعام، وكل ما نريده الآن هو الراحة، فاليوم كان جدير بالصدمات والتعب .

استيقظوا جميعًا وهم يشعرون بثقل التعب يثقل أجسادهم، والقصر من حولهم كان يسود فيه هدوء غامض، كأنه يختزن أسرارًا تنتظر من يكتشفها.

نظر مازن حوله بعينين متعبتين، ثم وجد على الأرض رسالة مكتوبة بخط متعرج، اقترب ببطء وقرأ كلماتها:

- الخيط الأخير للحق ليس في العلن، بل مختفٍ في أعماق السنين الماضية.

وقف الجميع يتبادلون النظرات، ثم بدأوا يتحدثون بصوت خافت عن احتمال وجود حل، أو على الأقل بداية رحلة بحث جديدة.

قسموا أنفسهم لمجموعتين: نور وإهداء اتجهتا نحو الطابق السفلي، بينما صعد مازن وخالد إلى الطابق العلوي، في الطابق العلوي، وبينما كانوا يبحثون في أركان القصر القديمة، لاحظ خالد تجويفًا غريبًا في جدًار مهترئ، عند تفحصه، وجد صندوقًا خشبيًا صغيرًا مخبأً داخل الجدار، لكنه لم يستطع فتحه.

نزل مازن وخالد مسرعين ليخبرا نور وإهداء بما وجدوا، ليجدا نور وإهداء قد صعدتا للتو، ووجوههما تحمل ملامح التعب والجوع.

قال مازن متسائلًا: مالكم في إيه؟

أجابته إهداء: السُفرة فيها أكل، نفس أكل المرة اللي فاتت.

نظر مازن وخالد بذهول تام إلى ســـفرة الطعام، وكان الخوف يســكن عيونهم، شـعور خفي بالخطر كان يحيط بكل طبق على السفرة.

لكن نور أصرت أن يأكلوا، وقالت بهدوء:

- ريم مش عايزة تأذينا، بس هي اختارتنا ليه؟ علشان نرجّع حقها، ولا علشان نشيل ذنبها؟

كان في نبرتها ارتباك داخلي، وكأنها بدأت تشـــك في حقيقة ما يحدث.

المشـــكلة لم تكن فقط في الخوف من الطعام، بل في رائحته الخانقة، التي كأنها تتســـلل داخل الأنف لتخنق الحلق.

وبعد تردد، استسلم الجميع للجوع، وأكلوا.

حقًا الجوع مؤلم يجعل الإنســـان يأكل أي شـــيء، مهما كان طعمه مرًا أو غريبًا، فحين تصرخ المعدة، يصمت التذوق.

مجرد انتهائهم من الطعام، لاحظت إهداء الصـــــندوق بجوار خالد، فسألته باهتمام:

- الصندوق ده لقيته فين؟

أجابها: لقيته فوق في تجويف جوه الحيطة، أكيد فيه دفتر أو حاجة هتوصلنا.

نظرت نور إليه وهي تتفحص الصـــــندوق، ثم تنهدت، وقالت:

محتاج مفتاح عشـــــان يفتح، أكيد المفتاح اللي لقيناه في الأوضة اللي دخلناها قبل كده.

أخرجه خالد من جيبه وجربه، وبالفعل فتح الصندوق.

أخرج خالد المفتاح من جيبه، وفتحه بحذر، كان بداخل الصندوق دفترًا قديمًا.

جلس الجميع حول الدفتر، وبدأ خالد يتصـفح صـفحاته، عند أول صفحة، خيم صمت ثقيل على الغرفة.

قال مازن بصوت منخفض:

- كده لازم نلاقي الدفتر الأول.

بدأ خالد يقرأ بصوت متقطع، والسطور تكشف أسرارًا دفينة عن كل واحد منهم، كلمات حادة كأنها سكاكين، تمزق صمت الغرفة، وتفضح ما حاولوا دفنه، توقفت أنفاسهم للحظة، وكل كلمة جديدة تهوي فوق رؤوسهم كالصاعقة.

رفع خالد عينيه عن الدفتر ببطء، فالتقت نظراتهم جميعًا، وجوه شاحبة، عيون متسعة، ودهشة صامتة تخنق المكان.

في تلك اللحظة لم ينطق أحدهم بكلمة، فقط تبادلوا النظرات مصدومين.

الفصل الخامس عشر

مازن

شخصية كاريزماتية، قيادية، لكنه متقلب ومندفع، يميل لإخفاء مشاعره خلف هدوء مصطنع، أناني نوعًا ما، لا يحب الاعتراف بالخطأ بسهولة، يتعامل مع مشاعر الآخرين باستخفاف إذا تعارضت مع راحته، طويل نسبيًا، شعره مموج، غالبًا غير مرتّب، لحية خفيفة، وعيونه داكنة، نظراته واثقة، لكنها أحيانًا تحمل ترددًا داخليًا، يحمل ابتسامة خفيفة حتى في المواقف الصعبة كنوع من التهرب العاطفي، كاجوال أنيق، يميل للتيشيرتات السادة والجينز الداكن، ساعات اليد الكبيرة، وحذاء رياضي نظيف، يحب الظهور بمظهر الراجل الهادي اللي وراه حاجات كتير، براغماتي – يرى الأمور من منظور النتيجة والراحة، يبرر أخطاؤه دائمًا بالظروف، لديه قدرة على الإقناع والتلاعب اللفظي.

نور

مثقفة، عقلانية، لكنها حساسة جدًا رغم محاولتها إخفاء ذلك، كانت تنظر لنفسها كشخص أكبر من المشاكل الصغيرة، ففقدت البوصلة الأخلاقية أحيانًا دون قصد، تشعر بالذنب بسرعة، وتغرق فيه عندما تواجه الحقيقة، وجهها بيضاوي، ملامحها ناعمة، لكن عيناها تحملان حزنًا دفينًا، شعرها طويل ومفرود دائمًا أو مربوط بشكل مهندم، تميل إلى البساطة في مظهرها، لكن بعناية، أنيقة وبسيطة، بلوزات قطنية ناعمة، ألوان هادئة مثل البيج، الأزرق الفاتح، رمادي، غالبًا ترتدي جاكيت خفيف أو كاردجان يدل على احتياجها للحماية النفسية، عقلانية، تهرب إلى المعلومات والمنطق عندما تواجه ضغطًا، تبرر تصرفاتها بنواياها، لا بنتائجها، ترى نفسها أفضل دون أن تنتبه إلى أن هذه الفوقية تخلق حاجزًا.

خالد

صدامي، ساخر، يستخدم التنمر والدعابة كوسيلة دفاع، يخاف من مواجهة مشاعره الحقيقية، سريع الغضب، لكنه يندم سريعًا أيضًا، ولا يملك أدوات الاعتذار الناضجة، بني البشرة، شعره قصير جدًا، عيناه عسليتان، فيه شيء من القسوة في تعابيره، جسمه رياضي، يبدو عليه أنه مهتم بمظهره الخارجي، عصري وستايلش، جاكيتات جينز، تيشيرتات برسومات، يميل لإظهار نفسه كشخص كول وجامد، عفوي، غير متزن في اتخاذ القرارات، يهرب من الذكريات السيئة بالضحك أو التجاهل،

داخله إنسان طيب، لكنه محاط بجدار كبير من القسوة المصطنعة.

إهداء

مرحة، تحب الظهور، لكنها تحمل داخليًا شـــعورًا بعدم الأمان، تعتمد على الضـــحك والمزاح للتعامل مع الألم، شـــديدة التعلق بأصـــدقائها، وتخاف من فقدانهم، عندها قابلية للتأثر والانجراف، لكنها ليســـت ســـيئة، وجهها مستدير، ملامحها جذابة، ضحكتها معدية، تضع مكياجًا خفيفًا، لكنه دائم، شعرها غالبًا مصفف بعناية، وقد تضع طوق شعر أو ربطة ملفتة،

تحـب الألوان الزاهيــة، الملابس اللافتــة، تجمع بين العصـرية والجرأة، ترتدي إكسـسـوارات مثل الأسـاور والسلاسل، أظافرها مطلية، سطحية أحيانًا، لكنها ليست غبيـة، تتعـامـل مع الأمور بـالعـاطفـة لا المنطق، تُظهر الثقة، لكنها تبحث دائمًا عن تأكيد من الآخرين.

بعد القراءة، خيم صمت ثقيل على الجميع.

مازن همس بصوت خافت:

- في حد ممكن يعرفك بعمق، لدرجة تخليك تحس إنك غريب عن نفسك.

كانت الكلمات تثقل قلوبهم، وهم يشعرون بخجل غريب أمام بعضهم البعض، كأنهم اكتشفوا أن كل واحد يحمل أسرارًا مظلمة لم يبوح بها، وأثناء شرودهم في التفكير، رفعت إهداء نظرها فجأة نحو الحائط المقابل، وقالت:

يا جماعة، الساعة دي.

نظروا جميعًا، كانت ساعة قديمة معلقة، عقاربها تتحرك بطريقة بطيئة وغير منتظمة، بل أحيانًا تعود للخلف.

قال خالد مستغربًا:

- إحنا فوقنا إمتى؟ حسّيت إن الوقت ماشي بطريقة غريبة.

نور تمتمت دون وعي:

- الزمن هنا شكله مش زينا.

شـعروا جميعًا بشـعور غير مريح، كأن القصـر نفسـه لم يكن مكـانًـا فقط، بـل كيـانًـا يعبـث بـالوقـت والـذاكرة والمصير.

صمت ثقيل، كأن الزمن نفسه توقف.

عين إهداء كانت مثبتة على شـــيء لم تلاحظه من قبل، سـاعة معلقة فوق بوابة داخلية في القصـر، كانت سـاعة ضـــخمة، من الطراز الأوروبي القديم، محاطة بإطار نحاســـي مائل للاخضـــرار، كأنها لم تلمس منذ عقود، عقـاربهـا تتحرك ببطء غير طبيعي، بـل أحيـانًـا تعود للخلف، لحظـات تمر والعقرب الصـــغير يتراجع دون سبب.

نور اقتربت منها ببطء، وعيناها تتسعان بدهشة:

- أنا شـفت فيديو عن السـاعة دي قبل كده، بيقولوا إن السـاعة دي كانت جزء من لغز في القصـر، وإنها مربوطة بمكان اسـمه «الغرفة الوردية»، والغرفة

دي فيها نفق سـري، بيودّي لكنيسـة قديمة موجودة تحت الأرض.

صمتت لحظة، ثم أكملت:

- بس محـدش عمره وصـــل للنفق ده، بيقولوا إن البارون نفســه كان بيختفي فيه، ولما مات، الباب اختفى معاه.

إهداء نظرت إليها بعينين يلمع فيهما الفضول:

- لو فعلًا في نفق، يمكن نوصل منه للدفتر الأول.

خالد قال وهو يمشي جيئة وذهابًا بتوتر:

- إحنا محتاجين خيط نمسكه، أي حاجة تساعدنا.

وهنا وقعت عينه على الرســالة التي وجدها مازن في البداية، رفعها ببطء، وقلبها بين يديه، كان هناك نقش باهت في ظهر الورقة، شدَّ نظرهم جميعًا، خالد تمتم:

- استنوا، في حاجة مرسومة هنا.

كانت خريطة قديمة، مرسـومة يدويًا بحبر خافت، تبيِّن ممرًا متعرجًا يمر عبر القصر، ثم يشير إلى مكان معين بجوار الغرفة الوردية، ثم سـهم يشـير لأسـفل نحو نفق، الخريطة بدت كأنها جزء ممزق من شـيء أكبر، كانت مرسـومة بحبر أسـود باهت على ورق مصـفر، تظهر فيها خطوط غير مسـتقيمة تمثل ممرات القصـر، في زاوية الخريطة، رمز دائري يُشبه السـاعة، وتحته سـهم صـغير يشـير إلى جدار خلفي في الغرفة الوردية، تحت الرمز، كلمات بالكاد تُقرأ:

- حين تتراجع عقارب الزمن، يُفتح الطريق لمن تـاه في ماضيه.

مازن همس:

- إحنا لازم نجرب نروح للغرفة دي.

تحركوا معًا في صـمت مشـحون، نور تمسـك بالخريطة وتراقب الاتجاهات، عند الوصـول إلى الغرفة الوردية،

لاحظوا جـدارًا مغطى بنقوش غريبـة، وعليـه مقبض صدئ بالكاد يُرى.

مـازن ضـــغط المقبض بحـذر، اهتزّ الجـدًار، ثم انفتح ببطء، كاشـــفًا عن ممر ضـــيق، مظلم، يمتد كأنه يبتلع الداخلين.

نور تمتمت بدهشة:

- إحنا أول ناس نوصـــل للنفق ده من ســـاعة ما مات البارون، محدش عرف يوصله قبل كده.

دخلوا الممر بصـــمـت، رائحـة تراب قـديم وعفن ملأ أنوفهم، الأرضـية غير مستقرة، والجدران ضـيقة، كأنها تقترب منهم أكثر مع كل خطوة، كل بضـع دقائق، كانت تُســمع أصــوات غريبة، كأن الجدران تتنفس، أو أنفاس أحدهم خلفهم.

إهداء صاحت فجأة:

- في حاجة لمست كتفي.

نظروا حولهم، لم يكن هناك أحد.

أمسك خالد كشاف هاتف نور بإحكام، وقال بعصبية:

- مفيش حد، بس أنا سامع حاجة، سامع أنين.

نور توقفت عند زاوية الممر، نظرت إلى مازن، وقالت:

- البصمة اللي في الجو دي مش طبيعية، إحنا دخلنا مكان مش تابع للعالم ده.

ثم فجأة، أُغلق المدخل خلفهم بصوت مرعب.

صرخت إهداء، وركض خالد ليتفقد الباب، لكن كان قد اختفى تمامًا، لم يكن هناك شيء إلا جدار حجري صلب.

مازن قال بصوت هادئ، لكنه مرتعش:

- إحنا محبوسين،

الضوء خفت، والهواء صار أكثر ثُقلًا، كأن النفق يبتلعهم ببطء، وترددت أصوات خافتة من الأعماق، أصوات تشبه الهمسات القديمة، أو دعوات من تحت التراب.

هـل النفق ســـيأخـذهم إلـى الحقيقـة، أم أنـه مجرد فخ، لتوريطهم في ماضٍ ليس لهم؟

الفصل السادس عشر

كانوا يمشون في النفق بصمت مشوب بالتوتر، والهواء من حولهم صار أكثر ثقلًا جدران الحجر الخام تضيق وتضيق، حتى شعر كل واحد منهم أن الممر يبتلعه ببطء، كأنهم ينسحبون من العالم الخارجي إلى شيء أعمق، وأقدم، وأشد ظلامًا.

إهداء تمسكت بذراع نور، وقالت بصوت مرتجف:

- حاسّة إن في حد بيراقبنا.

نور لم ترد، لكن عيناها كانتا متسعتين، تتفحص الظلام كأنها تتوقع أن ينطق فجأة.

وفجأة، سمعوا صوت همس ضعيف جدًا، كأنه صادر من بعيد:

- ما ترجعوش.

خالد توقف فورًا، والتفت بعنف خلفه:

- سمعتوا ده؟! في صوت.

لكن الصوت اختفى كما ظهر، وتركهم في صمت خانق، ثم حدث ما لم يتوقعه أحد.

إهداء صرخت:

- في حاجة على الحيطة.

وجه مازن كشـــاف هاتف نور إلى الجدار، وهناك كان حرف «هــــ» مرسـومًا بالدم، ما زال يقطر ببطء، ثم بجـانبـه ظهر حرف آخر، ثم آخر، تتـابعـت الأحرف، وكان يده خفية تكتبها أمامهم.

(هـ - ي – ل – ا – ن – هـ)

قالت نور، كأنها تحدث نفسها: «هيلانة».

صــمتت لحظة، ثم شــهقت فجأة وتراجعت للخلف، صرخت:

- إحنا، إحنا إيه اللي دخلنا هنا؟

الجميع توقفوا، ووجوههم مليانة بالذهول والصـــدمة، مازن اقترب من نور بسرعة وسألها:

- إيه في إيه يا نور؟ أنتِ تعرفي الاسم ده؟

نور تنفست ببطء، وبدت كأنها بتعصر ذاكرتها عنوة، ثم قالت بتردد:

- أنا نسيت أقولكم حاجة، حاجة مهمة جدًا، في قصة مشهورة بتقول إن هنا، في النفق ده، محبوسة روح «هيلانة»، أخت البارون.

سألها خالد بدهشة: أخت البارون؟!

أومأت نور برأسها، وقالت بصوت خافت:

- زمان، اتقال إن البارون كان في القصـــر وقت غروب الشـمس، وسـمع صـرخات أخته جاية من الغرفة اللي فوق البرج، لكنها كانت بتصـــرخ بصوت عالي جدًا، واللي حصل إنه تجاهلها.

إهداء قطعت كلامها بانفعال: إزاي تجاهلها!؟

نور بصت لها بعيون مليانه حزن، وقالت:

- كان بيشرب الشاي فوقها، وقت الغروب، وسابها تصرخ، ولما راحوا يشوفوها، لقوها ميتة.

ساد صمت تقيل، لحد ما نور كملت:

- ومن ساعتها، بدأت تحصل حاجات غريبة في القصر، البارون حاول يجمع كهنة عشان يرجَّع روح أخته ويعتذر لها،

وفعلًا ظهرت، لكن كانت غاضبة جدًا، رفضت الاعتذار، وبدأت اللعنة.

مازن كان واقف بيبص على الاسم المكتوب: هيلانة، والرهبة مالية عيونه، ثم قال:

- إيه اللي حصل بعد كده؟

نور ردت بصوت هادي:

- في ناس سمعوا صوت خناق بين راجل وست جوه القصر، الكل قالوا أكيد دول البارون وهيلانة،

بعدها البرج وقف عن الدوران، مراته ماتت في المصعد، لقوها جثة ساكنة من غير سبب واضح، والكثير من الخدم ماتوا بطرق غريبة، البارون نفسه، اتصاب بنوبة صرع، ومات بعدها بفترة قصيرة.

سكتت لحظة، وبصت للجميع، وقالت:

- اللي شفناه الوقتي، دم واسم على الحيطة، ده مش صدفة، دي هي، هيلانة، ولسه غضبانة.

إهداء كانت واقفة متجمدة، ثم قالت بعصبية:

- طيب، أنتِ عارفة كل ده، ووافقتي نرجع ندخل القصر؟

نور نظرت إليها بتوتر، ثم قالت بصوت كأنها بتبرر لنفسها قبل ما تبرر للآخرين:

- الموضوع منتشر على الإنترنت من زمان، بس في ناس كتير طلعوا نفوا الكلام ده وقالوا إن البارون ماعندوش إخوات، وإن مفيش واحدة اسمها هيلانة

أصلًا، فوقتها صدقت إن ده كله خرافات، خصوصًا إن القصـــر مهجور من ســـنين طويلة، فقلت مش هنقعد جواه غير 4 ســـاعات ونمشـــي، ماكنتش متوقعة أبدًا اللي بيحصل ده.

الجميع ســـكتوا، الصـــمت كـان أبلغ من كـل الكلام، الصمت، والاسم المكتوب بالدم الذي لم يجف بعد.

في عمق الصـــمـت، كـان في كمـان خطوات خفيفـة، بتتكرر، ثم تتوقف، كان شيئًا يقترب، ببطء، بثبات، وهم واقفين في مواجهة الجدار، شعروا جميعًا بنفس الشعور في اللحظـة ذاتهـا، أن الوقت انتهى ، وأن من دخل هذا النفق، لن يخرج كما كان.

في لحظة صـمت قاتلة، اهتزّ النفق فجأة، كان الصـوت أشـبه بتنهيدة قديمة تطلقها الأرض نفسـها، ثم بدأ الجدار الحجري في المنتصـف يتشـقق، وببطء مرعب، انقسـم الممر إلى نصفين.

صرخت إهداء وهي تتشبث بذراع خالد:

- في إيه؟ النفق بيتقسم؟

نور انتبهت للشـرخ المتسـارع، ومدت يدها نحو إهداء، لكنها لم تصـل، قبل أن يُغلق الجدار فجأة، كان يبدأ خفيةً فصلهُم عمدًا.

أصـــبحا نور ومازن في جهة، وخالد وإهداء في الجهة الأخرى.

سكت الجميع للحظة، ثم بدأت الأصوات تتصاعد.

خالد يصرخ: مازن؟ نور؟

إهداء: أنتِ، سامعة؟! نور.

مازن: خالد، خليك مع إهداء.

نور: مازن، لازم نرجع نلاقيهم.

لكن لا رد، لا صوت.

الفصل السابع عشر

نور كانت تقف في صدمة، عيناها على الجدار المغلق، وهمست بصوت مكسور:

- أنا خايفة عليهم أوي، هما فين؟

مازن حاول يهدِّيها، لكنه كان مشوَّشًا مثلها، قال بتنهيدة عميقة:

- مش عارف، أنا نفسي مش فاهم ليه بيحصل فينا كده.

مرّت ساعة، طويلة وثقيلة، كلٌّ منهم في مكانه، كل منهم تائه في أفكاره، في صمته، جلست نور على الأرض، ظهرها إلى الحائط البارد، وبدأت تكتب على ملاحظات هاتفها، بعينين شارده.

مازن كان يراقبها بصمت، ثم اقترب منها، جلس بجانبها، وقال بصوت خافت:

- بتكتبي إيه؟

لم تلتفت، فقط ردَّت بهدوء: نصوص.

ثم تابعت، كأنها تحاول تفسير شيء داخلي:

- عارفه إنه مش وقته، بس الكتابة هي اللي بتديني طاقة أكمل، كل حرف بكتبه بيخليني أحس إني لسه موجودة، لسه فيَّا نفس.

ابتسم مازن ابتسامة دافئة، وقال ونبرة فخر واضحة في صوته:

- أنا عارف إنك بتكتبي، كنت بشوفك بتنزلي حاجات على الاستوري، والناس كانوا بيطلبوا منك تكتبي رواية، كنتِ دايمًا بتلمسي قلوبهم بكلامك.

ثم صمت لحظة، وكأن الكلمات صارت أثقل:

- هتعدي، وهنخرج، متقلقيش.

لكن نور لم تلتفت، فقط همست:

- كل مرة بقول لنفسي كده، ولسه جوَّه نفس الدائرة.

نظر لها مازن، وصوته كان هادي، لكنه مكسور:

- يمكن لأننا عمرنا ما واجهنا نفســـنا بجد، دايمًا كنا لابسين أقنعة، حتى مع نفسنا.

التفتت له أخيرًا، ونظرتها كانت مجروحة، مليانة أسئلة:

- وأنا؟ كنت إيه بالنسبالك وسط الأقنعة دي؟

ابتسم بحزن، ولمس يدها بلطف:

- كنـتِ الحقيقـة الوحيـدة اللي مـا عرفتش أتعـامـل معاها، فهربت.

ارتعشت نظرتها، وقالت بصوت مخنوق:

- كنت بفتكرك قوي، لدرجة نســيت أكون قوية وأنا جنبك.

اقترب منها، وقال:

- أنـتِ أثرتي فيَّا أكتر مـا تتخيلي، كنتِ المراية اللي بتوريني ضعفي، وكنت بخاف أبص فيها.

نظرت له نظرة طويلة، نظرة بتقول إن في ســـؤال قديم جواها أخيرًا بيتجاوب.

- ليه ما طمنتنيش؟ ليه كنت دايمًا بتسـيبني أدوَّر على مكاني في حياتك؟

خفض مازن نظره، وقال بهدوء:

- علشــــان كنـت خـايف لو عرفتي حقيقتي، يمكن تسيبيني.

ثم تابع، صوته صادق وواضح:

- أنـا بحبك يا نور، حب كبير، مرعب، بس حقيقي، ومش ناوي أهرب تاني.

نور دمعت، وقالت بصوت ضعيف:

- بس اللي بينا اتكسر.

رد مازن بسرعة وبإصرار:

- اتكسـر، آه، بس ما ضـاعش، لسـه في نبض، ولسـه فينا نكمل، لو أنتِ مستعدة.

سكت لحظة، ثم أكمل:

- أنا آســـف على كل حاجة، بس مش هســـيبك تاني مهما حصل.

نظرت له نور، وكل حاجة جواها كانت عايزة تصدَّق.

ثم همست:

- وأنا كمان بحبك.

مرت لحظة صـــمت، لكنها كانت لحظة صـــدق، نقية، وســـط ظلمة النفق المخيفة، لحظة نور حقيقية، قبل أن يظهر من بعيد، صدى خطوات أخرى تقترب.

في الجهة الثانية من النفق

جلس خالد على الأرض، ضـاغط كفوفه ببعض، وعينيه معلَّقة في الفراغ المظلم، أنفاسه كانت سريعة، وصوته متهدّج:

- أنا مش قادر أتنفس يا إهداء، حاســـس إن أي لحظة ممكن الجدار ده يطبق علينا ونموت هنا، مش قادر أفهم إي اللي بيحصـــل لنا ده، ونور ومازن يا تري فينهم وكويسين ولا، وأمي يا إهداء، أمي هتعمل إيه لو سمعت خبرنا؟!

اقتربت إهداء منه، وضـــعت يدها على كتفه بقوة وكأنها بتحاول تثبّت روحه قبل جسمه، وقالت بصوت ثابت:

- اهدى يا خالد، إحنا لسه عايشين، ولسه معانا وقت، متخليش الخوف يغلبك.

نظر لها بعينين محمّلتين بالدموع:

- أمي يا إهداء، هي ضـــعيفة، بتتعب من أقل حاجة، فاكرة آخر مرة وقعت في البيت لما أنا اتأخرت في الشغل؟ فضلت تعيط لحد ما جارتنا سمعت صوتها، أنا لو اختفيت، هي هتضيع.

ابتسمت إهداء ابتسامة حزينة، ومسحت بيدها على شعره:

- إحنا مش هنختفي، اسمعني كويس، أمي ربتنا على الصبر، على إننا نواجه، عمرها ما استسلمت، حتى وهي وحيدة، تفتكر واحدة زيها ممكن تنهار بسهولة؟

رفع خالد عينيه بتردد، وسألها:

- ولو متنا هنا؟ لو عمرنا ما رجعنا؟

ابتسمت إهداء ابتسامة خفيفة، لكن جواها ارتجاف:

- متقولش كده، إحنا هنخرج من هنا في أقرب وقت وبعدين، عمرو موجود، مهما اختلفنا عليه، هو في الآخر صاحبنا، هو مش هيسيب أمي وخالتي فتحية.

قهقه خالد ضحكة قصيرة مكسورة:

- عمرو؟ أنتِ لسه شايفة إنه يستاهل ثقة؟

نظرت له إهداء بحدة، ثم خففت نبرتها:

- أنتَ بتتكلم كأنه غريب، ده كان معانا في كل حاجة، في المدرسة، في أوقات الضحك، في الأيام السودة، عمره ما تخلى عنا قبل كده.

ظل خالد ساكت لحظة، ثم قال بنبرة مليانة صراع:

- مش عارف، قلبي مش مطمّن، في حاجة ناقصـــة، في سر.

مسكت إهداء يده وضغطت عليها بقوة:

- بصـــلي يا خالد، أمي محتاجانا، ودي مش نهايتنا، يمكن ده اختبار، يمكن ربنا بيحطنا في المكان ده علشان نكتشف الحقيقة، صدقني، هنخرج، ونرجع لها، ونفضل حواليها زي ما كانت دايمًا حوالينا.

دمعت عيون خالد، وقال بصوت واطي:

- لو رجعنا، هحضنها ومش هسيبها لحظة.

ابتسمت إهداء رغم دموعها، وقالت:

- وأنا كمان، وهنقعد نحكي لها اللي حصـــــل، وهي هتضحك وتقول: «ولادي أقوى من أي خوف«.

جلسـوا سـوا في صـمت بعدها، بس كان صـمت دافي، مليان بحب الأم اللي بيلمّهم حتى وهما محبوســـين في قلب القصر الملعون

الفصل الثامن عشر

أغمضـــــت نور عينيها، تحـاول أن تغفو رغم همهمة الرياح التي تتســلّل من شــقوق الجدران، لم يمضِ وقت طويل حتى شعرت أن جسدها ينسحب من ثِقله، وأنفاسها تصبح أثقل، ثم وجدت نفسها واقفة في ممرّ ضيّق مضاء بضوءٍ أحمر باهت، كان الممر غريبًا، نصفه من حجارة قديمة متصـدّعة تشـبه دهاليز القصـر، والنصـف الآخر عصـــري كأنه جزء من شـــارع حديث، على الجدار الأيمن صــــور باهتة لامرأة ترتدي ثوبًا أبيض قديمًا، وعلى الجدار الآخر صـــور لفتاة بملابس معاصـــرة، وجهها مألوف جدًا: ريم.

خطوات خافتة دوّت في الظلام، وخرجت من آخر الممر امرأتان:

الأولى هيلانة، بشَعرها الأسود المتناثر وثوبها الممزّق، وعينـان زجـاجيتـان كـأنهمـا تنظران من خلف الموت،

والثانية ريم، ملامحها شاحبة، لكن عينيها تلمعان بالدمع والرجاء، اقتربتا من نور ببطء، حتى توقفتا أمامها، وأمسكت كل منهما بيد الأخرى.

ارتجفت نور حين سمعت صوتهما يندمجان معًا، يتحدثان في وقت واحد:

- إحنا اتنين، لكن دمنا واحد.

اهتزّ الممر فجأة، وبدأت الصور على الجدران تنزف دمًا أحمر يسيل على الأرض، رائحة الحديد والصدأ ملأت المكان.

مدّت ريم يدها المرتجفة نحو نور، وقالت:

- افتحوا الدفتر، فيه صوتي.

بينما همست هيلانة بصوتٍ أعمق، أقرب إلى زمجرة:

- الخائن لسه عايش.

فجأة انطفأ الضوء الأحمر، ولم يبقَ سوى عيون المرأتين وهي تحدّق في نور بثبات، قبل أن يندمج

جسـداهما في كيان واحد مشـوَّه، نصـفه من الماضـي ونصفه من الحاضر، ثم اندفع نحوها بسرعة.

صـرخت نور وهي تسـقط للخلف، لتسـتيقظ فزعة، تتصبّب عرقًا، لكن المفاجأة أنّ بجوارها، على الأرضية البـاردة، وُجـدت ورقـة قـديمـة من دفتر ريم، لم تكن موجودة قبل أن تغفو، وعليها بخطّ مرتعش جملة واحدة:

«الخيانة تكررت، والباب لا يُفتح إلا بالحقيقة«.

قرأت نور الورقة وهي تبكي، حتى اسـتيقظ مازن على صوتها، حاول تهدئتها وهو يقول:

- فيه إيه يا نور؟ أنتِ كويسة؟

أجابته وهي تتلعثم:

- أنا شوفت كابوس مرعب يا مازن، قلبي هيوقف.

وأخذت تقصّ عليه ما رأته، ثم ناولته الورقة، نظر إليها مازن، وقال بثبات:

- أنتِ عارفة معنى الكلام ده إيه؟

في الجهة الأخرى

كانت إهداء تحاول إغماض عينيها، لكن النوم لم يكن راحة هذه المرة، وجدت نفسها واقفة وسط فراغ أسود لا نهاية له، صمت خانق إلا من طنين يشبه أزيز الأسلاك، أمامها على الأرض ظهر خطّ رفيع يلمع بلون معدني، يمتدّ كأفعى تتحرّك ببطء، ارتفع الخط فجأة وبدأ يلتف حول نفسه، مرة، اثنتين، ثلاثًا، حتى تشكّل في النهاية حلقة دائرية ملتوية، أشبه بعقدة مشنقة مقلوبة، في وسط الحلقة، انبثقت نقطة سوداء تكبر وتكبر، حتى صارت كعين مفتوحة تحدّق بها بلا رمش، العين ساكنة، لكن إهداء شعرت وكأنها تراها من الداخل، كأن أسرارها كلها تُسحب منها وتُختَزن في تلك النقطة السوداء.

ارتجف الفراغ من حولها، وسمعت أصواتًا متقطّعة، كأنها مقاطع مكالمات هاتفية مشوّهة: ضحكات، بكاء، صرخة مكتومة، ثم انقطع كل شيء فجأة، لم يبقَ سوى

الرمز أمامها، دائرة ملتفة من ســـلك، وفي قلبها عين وحيدة، عين لا تكتفي بالنظر إليها، بل تبتلعها.

صرخت إهداء وهي تسقط داخل الدائرة، لتستيقظ فزعة، عرقها يتصبّب، وقلبها يكاد ينفجر.

قالت نور بوجه شاحب وملامح متوترة: معناه إيه؟

أجابها مازن بثبات:

- معناه إن الخيانة قديمة ولســـه مســـتمرة... زي ما هيلانة اتقتلت والبارون تجاهل، ريم نفس السيناريو بيتكرر، والهدف من حلمك إننا نفهم إن قصـــص القتل مش مجرد ماضي، دي سلسلة مستمرة وإحنا بنتجاهل أسبابها.

أطرقت نور رأســـها وقد فهمت كلامه، ثم أشـــارت إلى الورقة.

نظر إليها مازن يحاول استيعاب:

- الغريب، منين ظهرت الورقة دي؟

لكن، هل في الأمر غرابة حقًا؟ فمنذ دخولهم القصـــر لم يشهدوا شيئًا ينتمي لعالم المنطق.

ثم أضاف بجدية:

- أنا حاســـس إن الدفتر مش مجرد مذكرات عادية، لكنه وسيلة، زي الورقة اللي ظهرت جنبك، معناها إن الدفتر بيتحرك بنفســـه، أو بيظهر لما عايز يوصل رسالة.

نهض واقفًا وهو يقول:

- لازم نتحرك ونلاقي مخرج ونشوف إهداء وخالد.

في الجهة الأخرى:

»أنت كويسة؟»، سألها خالد بقلق.

مسحت إهداء وجهها، وصدرها يعلو ويهبط:

- أنا، أنا من امتى كويسة من ساعة ما دخلنا هنا؟

اقترب منها خالد، يمسح على شعرها بحنان:

- هنخرج، متخـافيش، قول لي شــــوفتي إيـه خلاكِ مرعوبة كده؟

قصّـــت عليه كل ما رأته بتفصـــيل. وبعد أن أنصـــت بتركيز، تمتم بصوت منخفض:

– دائرة ملتفة من سلك، وفي قلبها عين وحيدة.

نظرت إليه إهداء ودموعها تتساقط:

- أرجوك يا خالد، عشـــان خاطري، لاقي حل ونطلع من هنا، أنا خلاص مش قادرة، حاسة نفسي...

لم تســـتطع إكمال حديثها، إذ تجمّد صــــوتها حين رأت رمز يظهر أمـامهمـا فجـأة في كـل اتجـاه من اتجـاهـات النفق.

في تلك اللحظة شعر كلاهما بأن الهواء قد صار أثقل، وأن جدران النفق تضيق عليهما كأنها تطبِق بلا رحمة، القلب يخفق بعنف، والعرق يتصبّب رغم برودة المكان، كان الشعور أقرب إلى الوقوع في فخّ محكم، فخّ لا مفرّ منه.

كان الرمز غريبًا إلى حد يثير القشعريرة، أشبه بريشة دجاج، لكن لم يكن أبيض أو عاديًا كما في الواقع، بل متوهّج بلونٍ أحمر فاقع، كأنها غُمست في دمٍ طازج للتو، لم تكن ريشة ساكنة، بل بدت كأنها تنبض بخيط حياةٍ خفيّ، تتمايل في الفراغ كأن الهواء نفسه يخشاه، وكلما طالت نظراتهم إليها، شعروا أن اللون الأحمر يتسرّب من حدودها ليملأ المكان، حتى بدأ وكأن النفق يتنفس بدمها.

بينما تحدّق إهداء في الرمز المريب، إذ فجأة تشقّق الجدًار الصخري أمامهما، وكأن يده خفية مزّقته من الداخل، ليفتح لهما ممرًا ضيّقًا لم يكن موجوده قبل

لحظة، كان الممر يختلف عن باقي الأنفاق: جدرانه لم تكن من الحجر الخام، بل ملساء مائلة إلى الحمرة، وكأنها مطلية بدمٍ جاف، الأرضية رطبة، تتلألأ كأنها ابتلّت بمطرٍ لم يسقط يومًا، ورائحة صدأ خانق امتزجت مع عطن قديم تجعل التنفّس أثقل، من السقف تدلّت خيوط سوداء دقيقة، تتحرّك ببطء كأنها حية تراقب الداخلين.

ارتجف جسد إهداء وهي تتراجع خطوة، بينما خالد ظل يحدّق في الفراغ الداكن داخل الممر، عيناه تضيقان كأنه يحاول اختراق الظلام ببصره.

قالت بصوت مرتجف:

- إحنا هندخل؟

سكت خالد لحظة، أنفاسه متلاحقة، ثم نظر إليها محاولًا أن يبدو ثابتًا أكثر مما هو عليه:

- مفيش غيره، يمكن ده طريق الخروج.

تردده لحظات، كأن أقدامهما تثقلها قيود خفية، قبل أن يخطوا معًا داخل الممر، تاركين خلفهم النفق، بينما صدى خطواتهما يتردّد كقرع طبول حربٍ قادمة.

قالت نور باهتمام وهي تتلمس الجدًار:

- خلي بالك أحسن ما...

لكنها لم تُكمل حديثها؛ صرخة قصيرة خرجت من مازن وهو يسحب يده بسرعة، إصبعه انفتح بجرح رفيع، والدم بدأ يتسلل منه على بطء، يخط أثرًا أحمر فوق الحجارة الرمادية، في اللحظة نفسها، ارتجف الجدًار أمامهما كأنه يتنفس، ومع أول قطرة دم سقطت، ظهر نقش لم يكن موجوده من قبل: دائرة ملتفّة من أسلاك دقيقة، وفي قلبها عين وحيدة، عين لم تكن تنظر فقط، بل كأنها تمتص الضوء من حولها، تبتلع أنفاسهم، وتجرّهما إلى ما هو أبعد من مجرد حجر ونفق.

تبادلا نظرات مرتبكة، والخوف يتصــارع مع الفضــول في أعينهما.

بينما كانت نور تحدّق في الرمز المريب الذي اشـــتعل على الجدًار، إذ فجأة تشــقّق الحجر الصــخري أمامهما، وكأن يده خفيّة مزّقته من الداخل، ليفتح لهما ممرًّا ضـيّقًا لم يكن له وجود قبل لحظة.

ضغط مازن بيده على إصبعه النازف كأنه يحاول إيقاف شـــيء أكبر من الدم، بينما ارتجفت نور وهي تراقب فتحة الممر المظلمة، قالت بصــوت خافت، بالكاد يخرج من حلقها:

- إحنا هندخل؟

سـكت مازن لحظة طويلة، عيناه ما زالتا معلّقتين بالعين المرسومة على الجدًار، قبل أن يرفع رأسـه إليها، يحاول أن يبدو أكثر ثباتًا مما هو عليه:

- مفيش غيره، يمكن ده طريق الخروج.

ظلّا متردّدين لثوانٍ، كـأن أقـدامهمـا مثقلـة بقيود غير مرئية، ثم خطوا ببطء داخل الممر، والصـــدى العميق لخطواتهما ارتدّ حولهما، ليس كأنه مجرّد صـــدى، بل كأنه أصـــوات أخرى تســير معهما في انتظار اللحظة المناسبة للظهور.

تقدّموا جميعًا داخل الممرات، كل مجموعة على حدة، أصوات أنفاسهم تختلط بصدى الخطوات الغامضة التي لم يعرفوا مصدرها، الظلام كان يبتلعهم شيئًا فشيئًا، لكن في مكانٍ ما، بدأ وكأن الممرّات المجهولة تتقاطع خفية، تقودهم نحو نقطة واحدة.

نور ومازن كانا يسيران بحذر، نور تمسك بذراع مازن وكأنها تخشى أن ينفلت منها، ومازن يضغط على جرح إصـــبعه محاولًا أن يتجاهل الألم، وفي الجهة الأخرى، كانت إهداء تسـند نفسـها على خالد، عيناها لا تفارقان الجدران التي تتنفس برموزها المريبة، وفجأة، انفتح

أمام كلٍّ منهم ممر جديد، يشـــبه أفواهًا حجرية تناديهم، تردّدوا لحظـات، لكن خطواتهم دفعتهم داخلـه، حتى اصطدمت أنفاسهم ببعض، وجها لوجه.

ارتجفت نور وهي تصرخ باسم صديقتها: «إهداء«.

لم تُصـــدّق الأخيرة ما تراه، فاندفعت نحوها تحتضـــنها بقوة، بينما خالد يتنفس براحة أخيرًا، ومازن يبتسم رغم القلق:

- أخيرًا اتجمعنا.

كـانـت العيون الأربع ترتجف من الخوف، لكن دفء اللقاء خفّف شـيئًا من الرعب، جلســوا جميعًا في زاوية الممر، يتنفســـون بعمق، ثم بدأت الحكايات تتدفق، نور تحكي عن كابوســـها، الورقة التي ظهرت فجأة، والدم الذي فتح الرمز، وإهداء تصـــف الدائرة الملتفة والعين المظلمة التي كادت تبتلعها.

كل كلمة كانت تثقل الجو أكثر، كأن الممر نفسه ينصت، تبادلوا النظرات، والصدمة واضحة:

كل ما رآه أحدهم، كان يتكامل مع الآخر، وكأن الألغاز لم تعد تخصّ شخصًا واحدًا، بل شبكة واحدة تحيط بهم جميعًا.

الفصل التاسع عشر

بدأوا بالتحرك داخل أروقة القصـــــر، خطواتهم بطيئة كأنها تسير فوق صدورهم، وكل جدار يلتف حولهم يزيد من ثقل المكان، كانوا يحاولون تذكّر طريق العودة إلى النقطة التي انطلقوا منها، أمام المرآة، وأثناء ســــيرهم، توقفت إهداء فجأة، تنظر إلى باب حجري مســـدود يكاد يندمج مع الحائط:

- الغرفة دي، أول مرة أشوفها، أكيد فيها حاجة.

اقترب خالد منها، يتفحص المقبض الغريب المحفور في الصخر، حاول أن يفتحه، لكن الباب ظل ثابتًا كأنه جزء من القصـــر ذاته، تنهد بعد أن فقد شـــغفه، ثم التفت إليهم قائلاً بجدية:

- أكيد في سر ورا الأوضة دي.

نظر إلى مازن مباشرة:

- أنتَ شايف إيه؟

أجاب مازن بصوت متعب، كأن الجدران تستنزف قواه:

مش عارف، بس حاسس.

قاطعت كلامه نور وهي تحدق في يده المرتجفة:

- صباعك يا مازن... الجلد حواليه مسوّد، ده مش جرح طبيعي.

اقترب خالد سريعًا، أمسك بإصبع مازن بين يديه، وعيناه تتسعان بدهشة:

- في حاجة غريبة، الرمز بيحاول يمتد في صباعك.

صرخ مازن فجأة صرخة مدوية، ارتد صداها في جدران القصر، كأنها توقظ شيئًا نائمًا منذ قرون، الدم الغامق بدأ ينساب بغزارة، يخط خطوطًا على الأرض.

وفجأة! ارتج الباب الحجري بعنف، قبل أن ينفتح ببطء شديد، محدثًا صريرًا يشبه أنينًا طويلًا، تبادل الأربعة نظرات مذهولة، وقد فهموا أن جرح مازن لم يكن مجرد نزيف، بل مفتاح يفتح لهم المجهول.

بعد لحظات من التردد، دخلوا الغرفة بخطوات حذرة، كانت أشبه بمقبرة منسية: جدرانها باردة رطبة، تتدلى منها خيوط سوداء كالعروق النازفة، وفي منتصفها صفوف من توابيت حجرية، كل تابوت منقوش عليه نفس الرمز المرعب: دائرة ملتفة من أسلاك، وفي قلبها عين وحيدة تحدق فيهم بصمت ثقيل، الظلال تلعب على الجدران، وبين التوابيت انتشرت رموز غريبة محفورة بشكل عشوائي، أكثرها لفت انتباههم كان:(A S A 9 0 91)، وبينما أنفاسهم تتلاحق، بدأت الجدران نفسها تكتب لهم كلمة واحدة، حروفها متوهجة كأنها محفورة بنور الدم: «المرآة».

دونت نور كل الرموز بسرعة في دفترها المرتجف، وقد فهمت أنهم سيحتاجون إليها لاحقًا، ثم بدأوا جميعًا الذهاب إلى صالة القصر وقفوا أمام المرآة يتفحصونها باهتمام، كانت كما هي، لم يظهر لهم جديد، لكن خالد تراجع خطوة للخلف وهو يحدق:

- استنوا... في حاجة غلط.

اقتربت نور لتتأكد، وعيناها تتسعان:

- إزاي... إزاي ماخدناش بالنا؟

فالمرآة لم تكن مثبتة على الجدًار كما ظنوا طوال الوقت، بل خلفها ظلّ غامق يتحرك، كأنها حجاب يخفي شـــيئًا وراءه، ولوهلة، شـــعروا جميعًا أن المرآة لم تكن أبدًا تعكس صورهم، بل تراقبهم.

اقتربوا من المرآة بحذر، وعيونهم متعلقة بالظلّ الملتف خلفها، مدَّ خالد يده، وضـــغط ببطء على أطرافها، حتى تحركت كأنها باب خفيّ، وانكشـــفت لهم فجوة ضـــيقة مظلمة، لكن المفاجأة أن النفق لم يكن مفتوحًا، بل أغلقه قفل غريب الشكل، معدني أسود .

تقدمت نور، عيناها لا تفارقان القفل: أكيد الرموز اللي شفناها، هي مفتاح القفل ده.

أمســـك خالد بالقفل، وبدأ يجرب كتابة الرموز بأكثر من طريقة، لكن كل محاولة كانت تنتهي بالفشـــل، والقفل

يزداد صلابة كأن القصر نفسه يرفض فتحه، حتى رفع مازن رأسه فجأة وقال بثقة مرتجفة:

- استنى، جرَّب كده(AAS1990).

ضغط خالد الحروف والأرقام على التوالي، وفجأة دوَّى صوت معدني مكتوم، قبل أن ينفتح القفل ببطء، ويسقط على الأرض كأنه تلاشى من ثقل الزمن.

ارتجفوا جميعًا من هول اللحظة، ثم تبادلوا النظرات في صمت، كان النفق خلف المرآة صغيرًا للغاية، بالكاد يسمح بمرور شخص واحد، درجات سلالم حجرية ملتوية تهبط إلى أسفل، والظلام يبتلع نهايتها، ومع أول نفس، خرجت من الداخل رائحة عفن شنيعة، ثقيلة حتى إن صدورهم انقبضت ولم يستطيعوا التنفس بسهولة.

وضعت نور يدها على فمها بامتعاض، وقالت بغضب وهي تشعل كشاف هاتفها: مستحيل ننزل.

لكن خالد أصرّ، وصوته ثابت رغم الخوف :لازم ننزل، مفيش طريق غيره.

بدأ النزول بحذر، كان أولهم خالد، وخلفه إهداء، ثم نور، بينما كان مازن آخر الصف، يضغط على إصبعه الغارق بالدم محاولًا التحمل، كلما هبطوا أكثر، ازدهدت الرائحة ثقلًا حتى شعروا أن الهواء نفسه يتعفن في صدورهم، جدران السلم كانت ملساء رطبة، والماء يقطر من الشقوق كأن المكان ينزف، وفجأة توقفت خطواتهم، وتجمدت أنفاسهم، أمامهم مباشرة، ظهرت جثة إنسان ملقاة على الأرض، ملامحها باهتة، جسدها متيبس كأنها محبوسة هنا منذ زمن بعيد، وقع في قلوبهم جميعًا شعور واحد، صاعق، لا يحتمل الشك: «إنها جثة ريم«.

تسمرت عيونهم، ولم يتحملوا المشهد، اندفعت دموع نور وإهداء بلا توقف، وأصوات بكائهما اختلطت بصدى النفق الكئيب، لكن بينما كانتا غارقتين في الحزن، التفت خالد بنظرة حادة، وكأن شيئًا آخر لفت انتباهه، تبعته عين مازن، وهناك، بجوار الجثة مباشرة،

كان يرقد دفتر قديم، مغطى بطبقة من التراب والعفن، لكنه ما زال متماسكًا.

تردّدنا لحظة، ثم مد خالد يده وأمسكه، وبمجرد أن فتح الصفحة الأولى... تجمدنا جميعًا، فالاسم الوحيد المكتوب بخط واضح في البداية كان اسمًا نعرفه جيدًا «عمرو».

---

*فلاش باك *

الغرفة غارقة في صمت ثقيل، ريم جلست على طرف السرير، كتفيها منحنيان، والهاتف في يدها يرتجف كأن وزن العالم كله بداخله، رفعت السماعة بخوف، همست بصوت منخفض يكاد لا يُسمع:

- ألو... عمرو,

لم يأتِ الردّ بهدوء، صوت عمرو اخترق السكون كحد السكين، ممتزجًا بنبرة غضب مكبوت، قال بحدة مكتومة: ريم، أنتِ خرجتي النهاردة؟

تلعثمت الكلمات على لسانها، كأنها طفلة تُمسك بخطأ لم تُرد ارتكابه أجابته بخجل:

- أيوة، بابا بعتني أجيب شوية طلبات، ما طولتش... ورجعت بسرعة.

ساد صمت قصير من طرفه، لكنه لم يكن صمتًا عاديًا؛ كان صمتًا مشحونًا، تسمع فيه أنفاسه المتوترة، كأن كل ثانية يبتلع فيها غضبًا أكبر مما يحتمل، ثم جاء صوته أبطأ، لكن أعمق، مثقل بثقل لا يقبل نقاشًا:

- ريم، من النهاردة مفيش خروج، أي حاجة محتاجاها هتبقى عندك من غير ما حد يعرف.

تسمرت عيناها على الأرض، قبضت أصابعها على الهاتف بقوة، صوتها خرج مترددًا، باحثًا عن مبرر:

- بس... وبابا؟ أقوله إيه لو سألني؟

ارتفع صوته قليلًا، لم يكن صراخًا، لكنه مليء بإصرار لا يقبل جدالًا:

- قلت لك أنا هتصرف، أنتِ ما تقلقيش من حاجة.

صمت مرة أخرى، لكنها شعرت بالغضب يتدفق من كلماته رغم قلة حروفها، ثم انقطع الخط فجأة، تاركًا خلفه طنينًا جافًا يملأ أذنها، بقيت ريم ممسكة بالهاتف لثوانٍ، أصابعها لا تزال مرتجفة، رفعت رأسها ببطء نحو المراية المعلقة على الحائط، انعكس وجهها أمامها، ملامح هشة متعبة، عيون واسعة يغمرها القلق، شعرها الأسود منسدل بعشوائية على كتفيها كأنه فقد ترتيبه منذ زمن، اقتربت أكثر، كأنها تواجه خصمًا لا تعرفه، مدّت يدها تتحسس خدها البارد، ثم خطّت بأطراف أصابعها على الشفاه المرتجفة، وسألت نفسها بصوت بالكاد يخرج: «هو، فعلًا بيحبني؟ ولا أنا بس بضحك على نفسي؟«

الدمعة التي سالت على خدها لم تكن مجرد بكاء، كانت إعلان هزيمة داخلية، شعورًا بأنها مهما حاولت، ستبقى أقل مما يجب، ابتسمت ابتسامة مشوهة، كأنها تختبر ملامحها في المرآة، لكن كل ما ارتد إليها كان صورة لفتاة عادية جدًا، لا تشبه أبدأ البطلة التي يراها عمرو في خياله.

ومع كل يوم كان يمر، كانت علاقتها بعمرو تكبر في صمتٍ خفيّ، كلمات مقتضبة، مكالمات قصيرة، لكنها كافية لتغذي قلبها بالوهم، كانت تشعر أن الحبال التي تربطها به تزداد متانة، وأنها مهما حاولت إخفاء الأمر، لم تعد قادرة على الهروب من ذلك التعلق، لكن الرياح دائمًا تأتي بما لا تشتهي السفن، صباح باهت، وبينما كانت تقلب الصحف بلامبالاة، ارتعشت يدها عند رؤية الخبر، صورة واضحة، عنوان صارخ: «خطوبة عمرو»، لم تستوعب الكلمة أول الأمر، كأن عقلها رفض التصديق، ثم تسللت الحقيقة ببطء، ثقيلة كحجر

يسقط في قلبها، شعرت أنها انكمشت فجأة، أنها لم تكن يومًا كافية، كل تلك الليالي التي خبأت فيها صوتها، كل التنازلات التي قدَّمتها باسم الحب، كل مبادئها التي سمحت لها أن تتآكل لأجل ماذا؟ لأجل رجل، تركها ببساطة، وكأنه لم يكن يومًا يملك مفاتيح قلبها، نظرت إلى نفسها في المرآة، بعينين مثقلتين بالخذلان، همست بمرارة: - متعلمتش... من ساعة ما قابلت مازن وأنا بكرر نفس الغلط، عمري ما عرفت أحتفظ بكرامتي قدام حد.

ثم تساقطت الكلمات في داخلها، كأنها اعتراف متأخر.

الإنسان لا يعجز عن إدراك أخطائه، بل يعجز عن كبح قلبه، فهو يمد يده للنار، رغم أن الندوب القديمة ما زالت شاهدة،

ربما نحن لا نُخلق لنتعلم... بل لنكرر، حتى نتحطم بالكامل.

تجمدت الدموع في عينيها حتى تحولت لشـــرر، لم يعد الحزن وحده كافيًا ليمثل ما بداخلها، كان هناك شـــيء جديد يتخلّق، شـــيء حارق ينهش قلبها، الرغبة في الانتقام، لم تعد تفكر كيف تحافظ على قلبه، بل كيف تمزقه كما مزقها.

الفصل العشرون

رفعت الهاتف بأصابع مرتجفة، لكنها لم تكن تلك الرجفة الضعيفة المعتادة، بل ارتعاشة ممتلئة بالغضب، ضغطت على رقمه بعزم، تنتظر صـــوته، تنتظر أي بادرة تُعيد لها شيئًا من حقيقتها الضائعة.

قال عمرو ببرود، نبرة متعجرفة: خير؟

وقفت الكلمات في حلقها لحظة، ثم انفجرت بصـــوت متهدج، لكنه يفيض بالاستنكار:

- خير؟ لا والله! أنتَ بتسألني كده بعد كل اللي كان؟

ضـحكة خافتة سـاخرة تسـللت من طرفه، كأنها سـكين يغرسها ببطء:

- أنتِ لسه فاكرة نفسك حاجة؟

قالت ريم بحشرجة ألم:

- ده أنا، أنا يا عمرو، اللي حبيتك، اللي نسيت نفسي ومبادئي عشانك، اللي كنت بسمع صوتك وأحس إن الدنيا كلها ملكي.

قاطعها بلا رحمة، صوته أشبه بصفعة:

- وحبيتيني ليه؟ عشان أعمل إيه يعني؟ كنتِ لعبة وخلص دورها.

تساقطت أنفاسها كأنها تُطعن من الداخل، كل كلمة منه لم تكن مجرد إهانة، بل خيانة جديدة تُضاف للجراح القديمة، لكنها في أعماقها لم تضعف، على العكس، زاد القرار صلابة، همست بمرارة، وعيناها تلمعان بالدموع:

- أنتَ فاكر إنك كسرتني، بس أنا اللي هكون النهاية اللي عمرك ما حسبت لها.

تابعت بصوت مرتجف، لكنه متحدّي:

- لا، أنا هفضـــحك، هقول لكل الناس في الحي إنك عشـــمتني بـالجواز وأنـك خطّبـت واحـدة غيري، هخليهم يعرفوا مين أنتَ بالضـــبط، هخليك تندم يا عمرو.

ضـحك عمرو ضـحكة قصـيرة مقطوعة، فيها اسـتهانة واضــحة، وكأنه يسـمع نكتة لا تسـتحق الرد قال ببرود ساخر:

- أندم؟ أنتِ شـكلك نسـيتي نفسـك، فاكرة إن كلامك هيفزعني؟

سـكتت ريم للحظة، ثم جفّت كلماتها بعدما سـمعته يكمل بهدوء قاتل:

- عارفة إيه أحسـن قرار؟ إن صـورك اللي بعتها لي أوريها للي يهمه الأمر، باباكِ هيشـوفها، وهنشـوف بقا هو هيعمل إي؟

تجمدت الدماء في وجهها، الصوت الذي كان من المفترض أن يمنحها دفءً أصبح سيفًا يقصم ظهرها، كلماتُه لم تكن تهديده مبتذلًا، بل خطة واضحة، هو يمتلك شيء لم تكن تحسب حسابه، دليل يحرجها في بيتها، قد يحطم ما تبقى من كرامتها أمام أهلها، نظرت ريم للهاتف كما لو أنه غريب خانها، ثم همست:

- سحقًا، ما حسبتش حساب موقف زي ده.

بدأت الأسئلة تنهال داخلها كأحجارٍ صغيرة تكسر زجاج قلبها: كيف آمنت قلبها لحد تَبين أنه يحمل سكِّينًا؟ كيف وثقت في صوتٍ نجد بُنْيةً في داخله؟ كيف سلمت نفسها لاسمٍ كان قريبًا في القلب، لكنه غريب في الثقة؟

كانت الإجابات مرّة وبسيطة: لأنها كأنت تجرّع الحاجة فتشربها رغم أنها مُرة، لأن الحب أعمى، لأن الخوف من الوحدة يعلّمنا أن نُسلّم مفاتيحنا لمن يعدنا بالأمان، لأننا نُعطي من نحب أكثر مما نستحق نحن أنفسنا، لكن

الندم الآن تأخر الموقف انقلب عليها، كانت تظن أن التهديد سلاحٌ بيدها، فكان هو الأسرع في السحب.

رنة قصيرة من طرفه كأنها إعلان انتهاء محادثة

–قال بارتياح بارد:

- فاكرة إنك تلعبي عليَّ؟ لو مرة حاولتي تعملِي حاجة هتندمي فعلًا.

وقفت ريم في ظل المرآة، لا ترى صورة فتاةٍ مهزومة فقط، بل فتاةٍ تعلمت الدرس بأسوأ طريقة: أن الثقة بلا حدود قد تُحوّل سرّك إلى سلاحٍ في يد من خانك.

بعد أيام قليلة، تحول تهديده من كلمات إلى لذّة يلتهمها، كان يرسل رسائل قصيرة تقطع أنفاسها، تلميح هنا بصورة مقلقة هناك، وعبارات توحي بأنه يملك مفاتيح لإذلالها أمام بيتها والشارع كله، لم تعد تكد حزنًا فقط، بل كانت تعيش تحت سقف من خوف متقن، خوفٌ يطعم عينيه نشوة، ويشعل فيه إحساس القوة حين يراقبها وهي

تُقاسمه الهلع، ثم جاء ذلك اليوم الذي ظنَّ أنه سيكسرها فعلًا، اكتشف عمرو، بالطريقة التي لا تُطَمْئِن، أن ريم لم تتكسر، بالعكس نظمت نفسها، جمعت شجاعتها، وأعلنت في سرّها أنها ستفضحه في الحي، ستفشي سره لكل بيت وكل أم وأب، الخبر انتشر في عقلها قبل أن يخرج من فمها، فكرة الانتقام نشبت فيها كشرارة قد تُشعل إناءً كاملًا من الوقود، لم يسرّه هذا، الغضب أخذ مكان الاحتفال في حديثه مع نفسه، لم يعد يتوقع أن لعبته ستتحول إلى خصم.

وصلتها رسالته في منتصف الليل، قصيرة لكن بها وعد وابتزاز:

- هحذف كل الصور لو اتفقنا نفتح صفحة جديدة مع بعض، تعالي معايا، تبقي جنبي، محدش يعرف، وأنا هضبط كل حاجة.

كانت الرسالة مُصاغة ببراعة، ضمان لحمايته، فخ لضميرها، عرف كيف يلوِّن الشرّ بعبارة إنقاذ، تحسّست

ريم الهاتف بيد مرتجفة؛ في كل حرف شـــعرت بوزن المســاومة، كانت تعرف أن الوقع قد يتطلب منها خطوة تســقط فيها كرامتها أمام من خانها، لكن خواء الخوف من الفضيحة كان أعمق، وصوت أهلها في رأسها أعلى.

تحت ضـــغط الأيام والتهديدات والتهويل الذي جمعه عمرو على صورها، وافقت في النهاية، لم تكن الموافقة علامة انتصــار أو ســلام داخلي، بل استســلامٌ منهك، ذهبت إلى اللقاء من وراء أهلها، ترتدي ثيابًا عادية كأنها تحاول أن تختبئ حتى في شـــكلها، كانت تفعل كل ما يطلبه، كأنها تعيد دفع ثمن خطأ وحيد، صـــور أرســلتها يومًا، غلطة أطلقت سلسلة رصاصات على حاضرها.

وعندما وقفت أمامه، رأت في عينيه لذة الســيطرة، وفي صــوته شــيئًا من الندم المتصــنع، أو ربما مجرد مزيجٍ بارد من حســابات ومكاســـب، هي الآن تدفع ثمن ثقة موحلة بالغرام، ثمن أن تمنح جزءًا من خصوصيتها لمن لم يقدّرها، كل خطوة كانت تذكرها بكيف دخلت الشــرخ

أول مرة، ثقة مبنية على كلمات، على وعد، على حاجة للانتماء أكثر من حاجة للحذر.

في صـــدرها كان شـــيءٌ آخر أيضًـــا، غصـــة من الندم، ورسـائل من الذات تهمس كيفَ كان يمكن أن تكون قوية دون أن تتخلى عن نفســـها، لكن الندم لا يرجع ما فات؛ هو يعلّم بصمتٍ مر، وفي تلك اللحظة، وهي تسير خلف عمرو في طريقٍ معتمٍ، لم تكن تعلم إن كانت تخطو نحو خلاصٍ زائف أم نحو قعرٍ أعمق.

توقفت فجأة عند المدخل العتيق، تلمّست الحجارة الباردة التي بدت كأنها تراقبها بصـــمتٍ مشـــبوه، ارتجف قلبها، انفجر الغضـب على لسـانها قبل الخوف، قالت ريم بحدة : إيه ده؟! أنتَ جايبني قصـــر البارون؟ القصـــر اللي مليان حكايات عن أرواح وظلال؟ تشـكر بصـراحة، لو كنت أعرف ماكنتش جيت.

ابتسم عمرو ابتسامة باردة، تخفي ما لا يقال، رفع يديه كمن يحاول تهدئة طفل، وصوته انخفض ليغدو أكثر إقناعًا قال بهدوء متصنّع :

- ريم، أنا اخترت المكان ده عشان أمان، محدش يقدر يشوفنا هنا، وبعدين خلصت كل حاجة، مسحت صورك من تليفوني، ومسحت كمان أي حاجة كنت براقبك بيها، صدقيني خلاص، ما تقلقيش مني .

كلماته تسللت إلى عقلها كما لو كانت حبل نجاة، رغم أنها كانت أضعف من أن تحملها، ترددت لحظة، ثم أغمضت عينيها كمن يقبل حكمًا واقعًا، وهمست في داخلها: «يمكن يكون صادق، يمكن دي آخر مرة أرتاح«.

ومثل مغفلة صدّقت، خطت وراءه إلى الداخل، لكن ما إن تجاوزت خطواتها الأولى عتبة القصر حتى تبدَّل كل شيء، الجدران بدت كأنها تُطبق عليها، وصدى أقدامهما

يزدهد ثقلًا، تبادلوا بضـــع كلمات متوترة، ثم انفجر الخلاف.

قالت ريم بعصبية: أنا مش مصدقة، لسه في قلبي خوف منك.

قال عمرو بغضـــب متصـــاعد: خوف؟! بعد اللي عملته عشانك؟

اشـــتعل الشـــجار بينهما، الكلمات صـــارت صـــرخات، والهمســـات تهديدات، فجأة، تحوّل وجهه، وانكشـــفت وحشـــيته بلا قناع، اندفع نحوها، قبض على ذراعها بقسوة، ثم هوى بيده عليها وهو يصيح.

قال عمرو بصـوت غاضـب مدوّي: أنتِ تهدديني أنا؟! أنتِ متعرفيش أنا مين؟

وقع الألم على جسدها كالصاعقة، وصدى صوته ارتطم بجدران القصـــر ليعود مضـــاعفًا، كأنه أكثر من عمرو يصـــرخ فيها، ارتعشـــت، ترنحت، لكن الكلمات ظلت معلّقة في الهواء: تهديد، سطوة، قسوة.

ثم فجأة، ساد الصمت.

ألقى نظرة أخيرة، عينيه ممتلئتين بالازدراء، ثم اســتدار ورحل، تاركًا الباب يئن خلفه.

ريم وجدت نفســها وحيدة، محاطة بجدران قصــر مســكون، حيث كل حجرٍ فيه يتنفس حكايات الموتى، صــدى أنفاســها امتزج مع همســات خفية لا تعرف مصــدرها، أدركت في تلك اللحظة أنها لم تُترك وحيدة فقط، بل أُلقيت في أحضان رعب أكبر من عمرو نفسه، مرت ســاعات ثقيلة، والليل يزحف ببطء على جدران القصــر، ريم جلســت في ركنٍ معتم، جســدها مثقل بالخذلان والخوف، فجأة، ســمعت وقع خطوات تقترب، وباب القاعة يئن وهو يُفتح، دخل عمرو، يحمل في يده كيسًا صغيرًا،

ابتسم، ابتسامة لا تشبه الرحمة، ثم وضع الأكل أمامها وكأن شــيئًا لم يحدث، جلس مقابلًا لها، وصــوته هادئ بشكل يثير الريبة

قال عمرو بهدوء متصنّع: شايفة؟ أنا برجعلك، بجيبلك أكل، أنا عمري ما كنت قاسي معاكِ، بس أنتِ السبب، كل اللي حصل، أنتِ السبب، عارفة ليه؟ لأني عمري ما حبيت الست القوية، الست اللي ترفع صوتها، اللي تفكر تهددني، دي مش ست، دي عدو، وأنا عمري ما هعيش مع عدو.

انحنى للأمام، يحدّق في عينيها بحدة، ثم استند للخلف ببرود وكأنه يعلن حقيقة لا جدًال فيها، قال بصوت متقلب بين الحنان والتهديد:

- أنا عايز ست مطيعة، تسمع الكلام، ضعيفة، ذليلة، هنا بس أقدر أديها حناني، فاهمة يا ريم؟ أنا حنين جدًا، شوفي، جبت لك أكل بإيدي.

مدّ الكيس نحوها بابتسامة مصطنعة: يلا... كلي.

رفعت ريم رأسها ببطء، عينيها محمرتين من الدموع، لكنها هذه المرة لم تُخفِ ما تشعر به، نظرت إليه نظرة

ممتلئة بالقرف أكثر من الخوف، ثم قالت بصوتٍ متقطع لكنه حاد:

- أنا بكرهك، أنتَ مريض، مش طبيعي بجد، أنتَ عايز تتعالج.

تجمّد وجه عمرو لحظة، وكأن الكلمات اخترقت القناع الذي يرتديه. ثم فجأة، تبدلت ملامحه إلى عاصفة، عيناه تشتعلان غضبًا، ويده ترتجف كذئب جُرح كبرياؤه.

قال بصوت مفجوع بالغضب:

- إيه؟ أنا مريض؟ أنتِ اللي ضيّعتِ نفسك، أنتِ اللي سلمتيني مفاتيحك، وأنا، أنا اللي قررت مصيرك.

اندفع نحوها كالبرق، الشجار اشتعل من جديد، لكنها هذه المرة لم تملك قوة للمقاومة، كان صوته يرتطم بالجدران كصرخات متوحشة، ويده تنهال عليها بلا رحمة، وفي النهاية سقط كل شيء، سقطت ريم، بقيت ضحية، ضحية قلب صدَّق الوهم، ضحية تنازلات أحرقتها، ضحية نرجسي لا يعرف للحب معنى إلا

السيطرة، حياتها كلها، منذ بدايتها وحتى هذه اللحظة، لم تكن إلا سلسلة من البؤس، بؤس انتهى بين جدران قصرٍ مسكون، لتصبح هي روحًا جديدة في قائمة ضحاياه.

الحادي والعشرون والأخير

كان الصمت يملأ المكان إلا من صوت أنفاسهم المتلاحقة، والدفتر بين أيديهم يفضح كل شيء، مازن قلب الصفحات بعناية، وعيناه تتسعان مع كل كلمة، توقّف عند السطر الأخير، وصوته خرج حاده كأنه يقطع الهواء:

ـ بكل وضوح... الدفتر ده أكبر دليل. عمرو هو القاتل.

كلماته سقطت كالصاعقة على الجميع، لحظة ثقيلة، مليئة بالذهول والخوف والغضب، لكن ما لفت أنتباههم لم يكن فقط الاسم المدون، بل صوت بكاءٍ هستيري اخترق الصمت، التفتوا جميعًا نحو إهداء، كانت جالسة في زاوية الغرفة، يديها ترتجفان، ودموعها تنهمر بلا توقف، لم تكن دموع خوف، بل دموع مختلفة، مليئة بصراع داخلي عميق.

همس خالد بدهشة:

ـ إهداء، أنتِ ليه بتعيطي كده؟

لكن الإجابة لم تكن بحاجة لكلمات، نظراتها المكسـورة كشفت السر، قبل دخولهم القصر، كانت علاقتها بعمرو تتطور في الخفاء، نظرات طويلة لم تكن تُخفى، رسـائل قصـيرة مموهة، واهتمام لم يسـتطع أحد إنكاره، وبينما هم كانوا يظنون أن الأمر مجرد زمالة عابرة، كانت هي تبني مشـاعر حقيقية تجاهه، مشـاعر انكسـرت الآن في لحظة قاسية.

صرخت بصوت مخنوق:

- هو مش ممكن يكون قاتل، مش ممكن.

اقتربت نور منها وحاولت تهدئتها، لكن إهداء دفعت يدها بعصبية، وكأنها لا تريد أن تسمع أي كلمة، الدموع على وجهها كانت أكبر اعتراف بأنها لم تبكي على القصـر، ولا على ريم فقط، بل تبكي على خيانة مشاعرها، على قلبها الذي اختار الوجه الخطأ.

وقف مازن أمامها، صوته ثابت، لكنه مليء بالشفقة:

ـ إهداء، أحيانًا الحقيقة بتكون أصعب من إننا نستوعبها، بس الدفتر مش بيكذب، ريم سابت كل شيء مكتوب، وأقوى دليل الوقتي إننا نوصل الحق للعدالة.

إهداء أغمضت عينيها، وأطلقت شهقة طويلة، لم تجب، لكن دموعها كانت اعترافًا صامتًا أنها خسرت شيئًا غاليا، حتى وإن كان وهمًا.

وفي تلك اللحظة، فهموا جميعًا أن الطريق للخروج مش بس من جدران القصر، لكن من جراح القلوب اللي تركها وراءهم.

فجأة قطع شرودهم جميعًا صوت هاتف نور، يهتز بين يديها وصوت إشعارات متتالية يملأ المكان، نظرت بسرعة للشاشة وعينيها اتسعت بدهشة:

ـ النت اشتغل عندي.

اقتربوا كلهم حولها، عيونهم متعلقة بالهاتف كأنهم لاقوا خيط نجاة في وسط الضلمة، إشعارات كثيرة تنهال، لكن عين نور وقعت على رسالة باسم زيكا.

فتحتها بيد مرتعشة، وبدأت تقرأ بصوت مسموع:

_عمرو سـخنني أقتلَّكم قبل ما تدخلوا القصـر، كنت ضعيف وصدَّقت كلامه، بس مقدرتش، في حاجة منعت الرجالة من دخولهم القصـر، أنا آسـف، والله ما كنت عارف أعمل إيه.

الصـدمة خيمت على الكل، وكأن القصـر نفسـه حبَس أنفاسه.

مازن سـحب الهاتف من إيدها، قرأ الرسـالة بعناية، وبعدها رفع عينيه، وقال بجدية واضحة:

_ كده مفيش شـك، الدفتر والرسـالة دول أقوى دليل، عمرو القاتل.

خالد شد شعره بعصبية، وقال:

ـ إحنا لازم نخرج، لازم نبلّغ حالًا، مش هينفع نسكت.

نور أومأت بسـرعة، لكن صـوت بكاء إهداء قطع الموقف، كانت منهارة، دموعها مش بتقف، صـوتها مهزوز:

ـ أنا، أنا معرفتش، ماكنتش عارفة إنه كده.

التفت لها مازن، وقال بنبرة حاسـمة، لكن فيها لمسـة حنان:

ــ أنتِ غلطتي إنك وثقتي فيه، بس الوقتي لازم تصلّحي الغلط، ريم مش هتسمح نخرج من هنا إلا لما نكشفه.

كلماته سقطت على الكل كقرار نهائي لحظة فاصلة، من مجرد ضـحايا في لعبة مرعبة، بقوا شـهود مع أدلة حقيقية.

خالد مسح عرقه، وقال بتركيز:

ــ خلاص، أول ما نطلع، مش هنقول إننا دخلنا القصر، وده طبعًا علشـان لو حد عرف -خصـوصًـا الشـرطة-

الحوار كله هيقلب ضــدنا، القصــر ممنوع الدخول فيه، وسـاعتها بدل ما نكون جايين نكشف القاتل، هنطلع إحنا المذنبين، هنقول إننا كنا بعيد عن الســوشــيال قاعدين لوحدنا ولما نروح القســم، هنســلّم الدفتر والرســائل ونفضحه.

مازن فكر لحظة، ثم التفت لنور، وقال:

_ ابعتِ له يا نور، قولي له إننا ســامحناه، بس بشــرط، لازم يروح بنفســه ويبلّغ عن عمرو، يقول الحقيقة كلها، يقول إنه كان عايز يخلّيه يقتلنا، دي فرصــته الوحيدة يصلّح الغلط.

نور مسـحت دموعها بسـرعة، وبدأت تكتب الرسـالة بيد ثابتة، الكل كان عارف إن الخطوة دي هتحدد مصـيرهم ومصير عمرو.

مازن ابتسم بخفة، لكن في عينيه كان فيه تصميم:

- ريم هترتاح، وهتعرف إننا عملنا الصح.

انقطع تركيزهم جميعًا بصوت مريب، صرير ثقيل لباب قديم يئنّ وهو يُفتح ببطء، التفتوا دفعة واحدة ناحية المدخل الكبير، والدهشة ارتسمت على وجوههم.

خالد شهق وقال بصوت متحشرج:

ـ مستحيل، الباب.

تقدّم مازن بحذر، أنفاسه متقطعة، وكل خطوة منه كأنها فوق قلوب الباقين، ومع آخر دفعة، انشقّ الباب عن فجوة واسعة، والشارع بان قدامهم، أضواء أعمدة الإنارة، أصوات سيارات بعيدة، وصوت البحر المتلاطم كأنه يُرحِّب بيهم من جديد.

نور وضعت يدها على فمها، دموعها سالت بحرارة:

ـ إحنا، خرجنا؟ فعلًا خرجنا؟

إهداء انهارت على الأرض من شدة البكاء، مش قادرة تصدق إنهم نجوا من الكابوس، ومازن رفع عينيه للسماء، كأنه بيشكر القدر على المعجزة، وبين لحظة ذهول وفرحة، خطوا أول خطوة خارج بوابة القصر،

كأنهم بيتحرروا من سلاسل تقيلة كانت مربوطة حوالين أرواحهم، الهواء البارد لامس وجوههم، أصـوات الحياة العادية من بعيد رجّعت لهم إحساس إنهم رجعوا للعالم.

مازن وقف للحظة وقال بصـوت عميق وهو بيبص ورا على البوابة:

ـ إحنا كده سلّمنا الأمانة، عملنا اللي كان لازم يتعمل.

خالد أضاف بابتسامة باهتة:

_ ويمكن عشـــان كده الباب اتفتح، كأن القصـــر نفســـه اعترف إننا خلّصنا رسالته.

نور مسحت دموعها، وقالت وهي ماسكة إيد إهداء:

_ خلاص، انتهى الكابوس، واللي بقى مش غير بداية جديدة.

وهكذا، عرفوا في أعماقهم إنهم أدّوا الأمانة لروح ريم، وإن الطريق اللي قدامهم أخيرًا خالي من ظلال القصر.

في القسم، الضابط يسألهم:

- إيه اللي عندكم ضد عمرو؟

مازن يمد يده بالدفتر والموبايل:

- عندنا دفتر بخط ريم فيه تهديداته، وعندنا رسـالة من زيكا بيعترف فيها إن عمرو اسـتغله، ريم ما ماتتش لوحدها، هو اللي كسرها وهو اللي قتلها.

الضابط يرفع عينه من الورق، صوته فيه نبرة شك:

- إزاي وصلتوا للدفتر ده؟ ولِيه لسه فاكرين الوقتي؟ ما بلّغتوش ليه من سـاعة ما اختفت؟ أهلها قالوا: «انتحرت».

سـكتوا لحظة، تبادلوا نظرات متوترة، كأن الكلمة دي وجعتهم أكتر من أي اتهام.

مازن ردَّ بهدوء حزين:

- أهلها يا باشـا هم اللي منعونا. كانوا خايفين على سـمعتهم، قالوا محدش يتكلم، إهداء ونور كانوا

أقرب ناس لريم، بس العيلة أصـــرِّت إنها ماتت وخلاص، وإحنا ســكتنا احترامًا لهم، لحد ما لقينا الدليل، ساعتها مقدرناش ندفن الحقيقة.

الضابط بصّ لهم لحظة مطوّلة، كأنه بيقيس صدقهم من لمعة عيونهم، وبعدين مدّ إيده للدفتر والموبايل، شدّ نفسه وقال بجديّة:

- لو اللي بتقولوه صح... يبقى عمرو نهايته قربت.

الصمت غلّف الغرفة، بس جواهم حسّوا لأول مرة إن الحق بدأ يلاقي طريقه للنور.

بعد أيام، الكل بدأ يسألهم عن سبب اختفاءهم، قاعدين في كافيه وسط أصوات وشوشات.

واحدة من صحابهم:

- أنتو اختفيتوا فين كده؟ الناس كلها كانت بتدور عليكم.

نور بابتسامة هادية:

- كنا محتاجين نختفي شوية، الدنيا بقت دوشة زيادة.

مازن يضحك ضحكة قصيرة:

- قولنا نأخد بريك من الســوشــيال ميديا، بس البريك قلب كابوس.

يبصــوا لبعض نظرة عارفة كل اللي حصــل، بس قدام الناس الموضـــوع انتهى، بينما الحقيقة لســـه بتغلي في الكواليس، والعدالة جاية.

الأبواب بتتخبط بعنف، رجـال المبـاحـث يقتحموا بيـت عمرو، هو واقف مرتبك، عينيه بتتحرك بســرعة يدور على أي مخرج.

الضابط يصرخ:

– عمرو، أنـت متهم بـالابتزاز والقتـل، إيـديـك ورا ضهرك.

عمرو يحاول يتماسك، لكن وشه اتكسر، وابتسامته المتعجرفة راحت.

واحد من العساكر يجرّه بره، وهو بيزعق:

- كله كذب، كله فبركة.

الضابط يرد ببرود:

- الصور، الدفتر، والرسالة، كلهم بيتكلموا ضدك، اللعبة خلصت.

بعد أيام قليلة من تقديم البلاغ، كانوا قاعدين في البيت في حالة ترقّب، كل دقيقة تمرّ كأنها ساعة، لحد ما جالهم إشعار على التليفون:

خبر عاجل:

القبض على المتهم عمرو بعد ثبوت تورطه في ابتزاز الفتيات وقتل أحدهم، العثور على أدلة رقمية ومذكرات تثبت تورطه.

نور شهقت بصوت عالي: أخيرًا.

إهداء دموعها نزلت غصب عنها:

- ربنا جاب حقها، ريم ارتاحت الوقتي.

مازن قفل عينه لحظة، أخد نفس عميق، وقال:

- لأ، ريم اللي جابت حق نفسها، هي اللي ثبّت الأدلة، وهي اللي أجبرتنا نكمل للآخر.

الخبر انتشر بسرعة في الحي، والناس بدأت تهمس:

- ده كان عامل نفسه ابن ناس.

- وطلع أحقر من أي بلطجي.

أصحاب ريم خرجوا للشارع، نور بصت للسماء، وقالت في سرها:

- ارتاحي يا ريم، حقك رجع.

مازن كمل الجملة في صوته، لكنه واثق:

- والظِل خلاص، غادر المكان.

بعد مرور شـــهرين من خروجهم من القصـــر، جاء يوم مختلف، مميّز عن كل الأيام السابقة، استيقظ مازن على صـــوت إشـــعار في هاتفه، مدّ يده بتكاســـل وفتحه، ليجد رسالة طويلة تنتظره:

دعنا نتركهم خلفنا، لا تســـمع شـــيئًا ســـوى نبض قلبك، أغلق عينيك، وتعالَ إليَّ، دعنا ننســى العالم بكل همومه، ننسى كل ما يعكر صفونا، ننسى أنفسنا بين أحضاني، لا تفكر، فقط اســـتســـلم للهدوء الذي بين يدي، دعني أكون ملاذك الذي لا تعرف فيه ســـوى الســـلام، ونلتقي هناك حيث لا مكان للزمن، ولا وزن للألم، أغمض عينيك، وأطلقني أدخل أعماقك، دعنا ننسى، فقط ننسى، ونغرق معًا في بحرٍ من حبٍ لا ينتهي، دعنا نترك كل ما حولنا، ننســـى ضـــجيج العالم وأحزانه، نمشـــي معًا في لحظةٍ تملؤها السكينة، حيث لا يُسمع سوى همس قلوبنا، دعنا نلتقي بلا أعذار أو حســـــاب، ففي عينيك أرى ملاذًا لا يشـــبهه ملاذ، نســير في دروب الهوى بلا وجهة محددة،

ننسى أنفسنا لنجد بعضنا، بلا حدود، هناك، بعيدًا عن كل ما يُثقلنا، تذوب الكلمات في بحر من المشاعر، ونحلق عاليًا فوق الغيم، حيث الحب وحده هو الحقيقة، فهل تجرؤ أن تترك العالم، وتنسى نفسك معي؟ دعنا نلتقي، فقط نلتقي، ونكتب قصة حب لا تنتهي، اليوم سأصبح زوجتك وحبيبتك نور.

ابتسم مازن وهو يعيد قراءة كلماتها، كأن كل حرف يتغلغل في قلبه يرمّم جرح قديم، أدرك أن الجواز مش أوراق ولا مراسم، لكنه رحلة أمان، رحلة بين روحين ملهمش غير بعض، روحين اختاروا يشيلوا وجع بعض قبل فرحتهم، ويواجهوا العالم كإنهم شخص واحد.

الجواز حلو لأنه بيحوّل الخوف لطمأنينة، والوحدة لشريك، والدموع لضحكة بتتشارك، هو وطن صغير، بيت من حب، مكان تلاقي فيه قلبك اللي كان تايه، وساعتها بس فهم إن أعظم معجزة في الدنيا، إنك تلاقي روح بتكملك، وتختارك، وتفضل معاك مهما حصل.

مرَّت سنوات طويلة، والذكريات اللي كأنت يومًا بتنزف في القلوب، اتغطّـت بطبقـات من الزمن، لكنهـا مـا اندفنتش.

إهداء، اللي كانت دايمًا بتجري ورا وهم اســـمه عمرو، أخيرًا لقت الشـــخص الصـــح، راجل هادي، عاقل، بيحترمها وبيخاف على قلبها قبل أي حاجة، مش بيعلِّي صوته، ولا يعرف يعني إيه كسرة نفس، بيسمعها لآخر الكلمة، ويشـاركها كل تفاصـيل يومها، والأهم إنه عمره ما حســـها إنها قليلة، كانت معاه بتحس لأول مرة إنها مطمئنة، مطمئنة بجد.

أما خالد، فمازال جالسًـا في بيت أمه، زي ما كان دايمًا، قلبه متعلق بيها بشكل يخلي كل اللي يعرفه يشهد إنه ابن بار، بيحبها حب صـــادق، بيشـــيل عنها تعب الســـنين، يفرّحها بأي تفصيلة صغيرة، كأنها الدنيا كلها بالنسباله، كان شـــايف إن الدنيا ممكن تخونه في أي حاجة، إلا في وجودها هي.

وعلى شـــاطئ إســـكندرية، كانت نســـمة البحر باردة والسماء مفتوحة، بتدي إحساس إن الدنيا لسه فيها حياة.

جلست على كرسي خشبي، في إيدها رواية بعنوان:

ظلي لم يغادر المكان، الرواية اللي حققت أنتشار واسع، آلاف القراءات، وحكـاية نـاس كتير لقوا نفســـهم بين سطورها.

كانت غارقة في القراءة، عينيها تجري مع السطور حتى وصـــلت إلى السـطر الأخير، سـطر من روايتها هي، كلمات نســـجتها بقلمها يوم امتلكت شـــجاعة الحكي، وقررت تخرج الحكاية من صمتها للنور.

الغفران مش معناه إننا نســينا، الغفران معناه إننا اخترنا نتحرر من الحزن، ونســيبه مربوط بالماضـــي بدل ما نشيله في المستقبل.

توقفت نور عند الجملة، شـهقت شـهقة صـغيرة، الدموع غرقت عينيها، كأنها بتقرأ جرحها بصـوت عالٍ لنفسـها

من جديد، لكن فجأة، صوت ضحك وصراخ قطع سكون اللحظة: ماما، بابا.

التفتت بسرعة، فابتسمت، ريم الصغيرة، بنتها، كانت بتجري ورا أخوها نوح، يتنططوا في الرمال معًا.

نور ابتسمت أكتر، ومازن كان واقف جنبها يراقب الأطفال بعين كلها طمأنينة، كأنه بيقول لها من غير كلام: إحنا نجونا.

أغلقت نور عينيها للحظة وهي بتراقب بنتها وابنها يلعبوا، وفي قلبها همست:

- أخيرًا يا ريم ارتحنا، وحقك بقى في ورق يشهد إنك عِشتِ.

ثم شدت نفس طويل من هواء البحر... وتركت الموج يحمل الحكاية بدلها، تركت الموج يحمل الحكاية بعدما تركت الظل يغادر المكان.

تمت بحمد الله

شكر خاص

إلى كل من آمن بي، ولو بكلمة صغيرة.

إلى أصدقائي الذين كانوا السند في لحظات الشك.

شكرًا لأنكم منحتموني القوة لأكمل حتى النهاية.

ولنفسي..

شكرًا لأنني لم أتوقف رغم كل شيء، لأنني اخترت أن أؤمن بحلمي حتى عندما لم يبدُ الطريق واضحًا.

أما لعائلتي..

فشكرًا رغم كل الخلافات، فربما ما لم يفهموه اليوم، سيعرفون يومًا أن هذا الحلم كان يستحق

وللكاتبة فاطمة الأمير..

التي عرفتها صدفة، واكتشفت أنها من مدينتي، لكن الصدفة كانت أعظم من أن تُسمّى صدفة فقط، فهي منحتني دفعة صادقة جعلتني أصدق أكثر في حلمي وأسعى نحوه دون تردد.

لكل هؤلاء، ولكل من مرَّ في طريقي وترك أثرًا صغيرًا في الحكاية.. شكرًا، فأنتم السبب في أن تصل النهاية إلى هُنا.

ظلي لم يغادر المكان

مجموعة من اليوتيوبرز يدخلون قصر البارون المهجور بحثًا عن مشاهدات

لكنهم لم يتوقعوا أن يصبح البقاء على قيد الحياة هو الهدف الحقيقي

في الداخل تسكن روح فتاة مظلومة تنتظر من يعيد لها حقها

ولن تسمح لأحد بالمغادرة قبل أن يتحقق ذلك

أسرار مظلمة ، لقطات مرعبة ، وماضٍ مدفون لا يريد أن ينسى

رحلة مرعبة بين الحقيقة والخرافة ، هل سينجحون؟

أم سيكون القصر هو الفيديو الأخير في حياتهم؟

قطرة حبر

تصميم : رضوى عادل